بسم الله الرحمن الرحيم
رب اعن ويسر يا كريم

التكافل الاجتماعي في الحديث النبوي و أثره في تضامن الأمة ورقيها

(دراسة موضوعية)

د. عبد الله عبد العليم أبو العيون
الأستاذ المساعد بقسم الحديث وعلومه
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم
بسم وبالله
بسم الله خير الاسماء
بسم الله رب الارض والسماء

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة بين يدي البحث :

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، و صلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام الطيبين ،ومن تبعهم على صراط مستقيم إلى يوم الدين ٠

وبـــــــــــــــــــعد :

فانه مما يستوجب الشكر الجزيل لله رب العالمين من بين نعمه السابغة على عباده التي لا تحصى ولاتعد أن جعلنا من خير أمة أخرجت للناس ، ومن اتباع سيد المرسلين محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة الله للعالمين ، وقدوة الخير للخير إلى يوم الدين ٠ ففي طاعته طاعة الله تعالى ، وطاعتهعز وجل هي أسمى الغايات والمقاصد ، وفى طاعته سعادة الدنيا والآخرة ،قال تعلى "من يطع الرسول فقد أطاع الله " ١ وقال " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم " ٢ كما أن في طاعته صلى الله عليه وسلم فىأقواله وافعاله وتقريراته وصفاته الخلقية رقى الأمة وقوتها وتقدمها ، وحضارتها، أمنها، وامانها،دون شك والشكر على النعمة أمان لزوالها ٠

انه من مشاغل العصر ليل نهار ، ويقلق الأمة والفرد فيها ، وينغص عليه حياته ، الجانب المادي فيها ، وبمصطلح العصر "الناحية الاقتصادية "منها ٠ ولو اننا نظرنا إلى السنة النبوية ، وتدبرنا ما يخص هذا الجانب منها ،أخذنا به ، لوجدنا الحل الناجع فيها دون عناء ، ولامشقة ، وهذا ما نجده في التكافل الاجتماعي الذي تحدثت عنه السنة النبوية الشريفة ، إضافة إلى ذلك ما يحققه الحل النبوي من الوصول إلى أسمى الغايات وهى طاعة الله تعالى وعبادته التي خلقنا من اجلها ، فمن كانت الأخرة همه كفاه الله هم دنياه ، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه ، قال تعالى " من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب "٣

وعند تدبر السنة النبوية بروية وأناة نرى بوضوح كيف أنها وضعت أمر المعيشة أو " الناحية الاقتصادية" موضع الاهتمام ، مع جعلها وسيلة للغاية العظمى - كما تقدم- وثبوت شرع الله تعالى ٠

لهذا وغيره كانت السنة النبوية اعظم المصادر- بعد كتاب الله تعالى - في وضع انسب الحلول لقضايا كل عصر في جميع نواحي الحياة ، خاصة الجانب" الاقتصادي " ٠ فإنها وحي الله تعالى ليصلح به العباد والبلاد ،و أهل الإيمان لامراء عندهم في هذه الحقيقة ولاجدال ٠

من هذا المنطلق توجهت رغبتي إلى القيام بهذه الدراسة حول السنة وقضايا العصر تختص بجانب "التكافل الاجتماعي" في السنة النبوية الشريفة ، وكيف كانت ، ومازالت ملجأ إلى كل راغب ، في حياة كريمة ، تقوم على اصح المناهج العلمية المستقاة من السنة المباركة بخصائصها وأركانها ٠

إن المنهج النبوي الشريف يتصف بالشمول والتوازن واليسر ، قال تعالى " الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه أولئك هم المفلحون " ٤

١- سورة النساء آية ٨٠.
٢- سورة آل عمران آية ٣١.
٣- الشورى (٢٠)
٤-الأعراف(١٥٧)

والسنة المباركة منهج شامل لحياة المرء كلها ، يوازن بين روحه وجسده ، ودنياه وآخرته دون حرج ومشقة ، بل هي اليسر والرحمة والسماحة والسهولة، قال تعالى " وما وأرسلناك إلا رحمة للعالمين " ١ ، وقال صلى الله عليه وسلم " أيها الناس إنما أنا رحمة مهداه " ٢ وقال صلى الله عليه وسلم " عن قناعة ويقين علمي " بعثت بالحنفية السمحة "٣ فطوبى لمن وفقه الله تعالى ولان قلبه وعمل بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإنما لان و أجاب بنور الرحمة الذي ناله

وتناولت هذه الدراسة المباحث الآتية :

المبحث الأول : مفهوم التكافل ، أدلته الشرعية ، وبيان تعدده ٠

المبحث الثاني : في التكافل الأدبي

المبحث الثالث :في صيانة الاخلاق ٠

المبحث الرابع : في التكافل العلمي ٠

المبحث الخامس: في التكافل الدفاعي ٠

المبحث السادس : في التكافل المادي ٠

المبحث السابع : مصادر التكافل المعاشى ٠

واخيرا خلاصة البحث ومقترحاته٠

هذاو أسال الله تعالى أن يشرح لي صدري ، وان ييسر لي أمري ، وان يغفر لي الزلل ، كما أسأله العون والتوفيق ، واستغفر الله العظيم ٠ وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ٠

د٠ عبد الله عبد العليم أبو العيون

١-الأنبياء (١٠٧)

٢-" الطبقات الكبرى " لابن سعد جـ ١ ص ١٩٢ ط دار صادر بيروت ٠ ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥ / " نوادر الأصول في أحاديث الرسول " للحكيم الترمزى جـ٢ ص ٢٨٤ ط دار الريان للتراث ١٤٠٨ ـ ١٩٨٨ ٠

٣- " الطبقات الكبرى " جـ ١ ص ١٩٢ ٠

المبحث الأول
مفهوم التكافل الاجتماعي

يهمنا في هذا المبحث معرفة مفهوم " التكافل الاجتماعي " وما ينبغي أن يكون عليه ضابطه وحده الذي يستعمل فيه في كل عصر وفق ما ورد في كتب اللغة ومعاجمها وما ورد مما يؤيده في القران الكريم والسنة الشريفة حتى يتوافق مع الهدف من بيان موقف السنة منه ٠ فنقول وبالله التوفيق :

الكفيل في اللغة: الضامن ،والكافل : الذي يكفل أنسانا يعوله ، ومنه قوله تعالى " وكفلها ذكريا " ١: الضمان ، ويقال :هو كافيه وكافله ،وهو يكفيني ويكفلني : يعولني وينفق على ٠ واكفلته اياه وكفلته ، قال تعالى " اكفلنها ٢ ٠

وهو كفيل بنفسه وبماله ، وكفل عنه لغريمه بالمال ، وتكفل به ، ومنه الكافل : الضامن والعائل ، والجمع كفل وكفلاء ، ومنه الكفل : الحظ والنصيب الذي فيه الكفاية ، كانه تكفل بأمره ، والكفل أيضا : الضعف ، قال تعالى " يؤتكم كفلين من رحمته " ٣ وفى الآية أي كفلين من نعمته في الدنيا والآخرة ، وهما المرغوب إلى الله فيهما بقوله " ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة " ٤ ٠ وقيل : بل أراد النعمة المتوالية المتكفلة بكفالته ، والتثنية على حد ما ذكر في سعديك ولبيك ٠ ٥

وقال الجرجاني : والكفالة : ضم ذمة الكفيل إلى ذمة الأصيل في المطالبة ، وفى الحديث " أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة له ولغيره " ٧

والكافل كما يقول ابن منظور : القائم بأمر اليتيم المربى له ، وهو من الكفيل الضمين ، والضمير في" له ولغيره " راجع إلى الكافل : أي أن اليتيم سواء كان الكافل من ذوى رحمه وأنسابه أو أجنبيا لغيره تكفل به ، وكفيل وكافل ، وضمين وضامن ، بمعنى واحد ، واما الكافل فهو الذي كفل إنسانا يعوله وينفق عليه ٠ ٨

وجمع الشيء المتفرق فاجتمع ، وتجمع القوم اجتمعوا من هنا وهنا ،والجمع أيضا لجماعة الناس ٠ وجمع أيضا المزدلفة لاجتماع الناس ٠ ٩

ويستخلص من هذه المعاني لكلمة التكافل : انه التضامن والتعاون بين شخصين ، أو بين جماعة لتحقيق خير أو دفع ضر ٠

وقد ورد ذكره في كتاب الله عز وجل وفى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فهذا المعنى ليس مستحدثا ولا جديدا بالنسبة للامة الإسلامية في عصرنا ٠

ويمكن أن يعرف التكافل : با نه شعور كل مسلم بواجبه تجاه أسرته ، وأخيه المسلم والجماعة الإسلامية ، بل والإنسانية في كل مجالات الحياة ، بقدر جهده واستطاعته ، وهو شعور نابع من إيمان عميق بالله عز وجل ، ورسوله صلى الله عليه وسلم ٠

١- " مختار الصحاح " للرازى ص٥٧٥ ٠ و الآية من سورة آل عمران (٣٧) ٠
٢- سورة ص (٢٣) ٠ ٣- سورة الحديد(٣٨) ٠ ٤- سورة البقرة (٢٠١)
٥- " بصائر ذوى التمييز " للفيروز بادي جـ٤ ص ٣٦٦ بتصرف ٠ ط وزارة الأوقاف ٠
٦- " كتاب التعريفات ،" للجرجانى ص١٨٥ ٠
٧- أخرجه البخاري / كتاب الطلاق/ باب اللعان / جـ ٩ ص٤٣٩ ٠
أخرجه مسلم / كتاب الزهد / باب الإحسان إلى الأرملة / جـ١٨ ص١١٣ ٠
٨- " لسان العرب " لابن منظور جـ٣ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ ٠ بتصرف٠
٩ مختار الصحاح ص١١٠ بتصرف ٠

المفهوم الشرعي لمعنى التكافل :
هذا المفهوم الذي دلت عليه مادة الكلمة في اللغة نجده مقررا في صريح الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ٠
فمن الأول قوله تعالى " واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا " ١ ، وقوله تعالى " وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان "٢ ٠
ومن الثاني : قوله صلى الله عليه وسلم " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " ٣ ٠ وقوله صلى الله عليه وسلم " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا "٤ ٠
من خلال هذه النصوص يتضح دقة المفهوم الشرعي لمعنى التكافل ، باوجز عبارة ، أوضح صورة ، وابلغ بيان ٠
الأدلة الشرعية لنظام التكافل :
بناء على المعنى المتقدم للتكافل نجد انه ركن من أركان الشريعة الإسلامية ، وقاعدة راسخة من قواعده ، منذ بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم من نحو خمسة عشر قرنا من الزمان ،
ومن الأدلة الشرعية لنظام التكافل من كتاب الله تعالى قوله : " ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب أقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون "٥
وقوله تعالى " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ان الله لايحب من كان مختالا فخورا ، الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا ، والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولايؤمنون بالله ولابااليوم الاخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا ، وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما " ٦
وقال تعالى " ياايها الذين آمنوا قوا انفسكم وأمليكم نارا " ٧
ودلالة هذه النصوص القرآنية هى بيان ما هو مطلوب شرعا من كل مسلم وان البناء الإسلامي كما يشتمل على الإيمان بالله ،وملائكته وكتبه ورسله ، فانه يتضمن الإحسان آلي الوالدين والبر والنصيحة لكل مسلم وهو عين التكافل المراد ٠

سورة آل عمران (١٠٣) -7
٢- سورة المائدة (٢)
أخرجه مسلم / كتاب البر والصلة / باب تراحم المؤمنين ٠٠٠ / جـ ١٦ ص١٤٠ (النووي) -7
٤- أخرجه مسلم في الموضع السابق جـ١٦ ص١٣٩ ٠
٥- سورة البقرة (١٧٧) ٠
٦- سورة النساء (من ٣٦ إلي ٣٩) ٠
٧- سورة التحريم جزء من الآية (٦) ٠

ومن السنة النبوية إضافة إلى ما تقدم قوله صلى الله عليه وسلم " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ،من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة،ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة " ١
وقوله صلى الله عليه وسلم " من دل على خير فله مثل اجر فاعله " ٢ وقوله صلى الله عليه وسلم " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبك بين أصابعه " ٣ .
ودلالة هذه النصوص النبوية الشريفة لاتخرج عن الدلالة القرآنية لكونها مفسرة ومبينة له فالتعبير بالمسلم والمؤمن إشارة إلى أركان الإيمان والإسلام التي ا تصف بها كل واحد منهما بمقتضى الإيمان بالله تعالى ، وماعدا ذلك فهي تفسير لمقتضى الاخوة الإسلامية فتشبيه تماسك أهل الإيمان بالبنيان وتشبيك الأصابع لهو من أقوى الأدلة على تضامن المسلمون سويا وتكافلهم ، وكل ما سيذكر ان شاء الله تعالى من الآيات البينات ، والأقوال الشريفة فيه الأدلة والبراهين على تأسيس الأمة الإسلامية على أرقى وارفع ما يمكن من العلاقات الإنسانية .

تعدد أنواع التكافل الاجتماعي :
يلاحظ ان " التكافل الاجتماعي " بالمعنى المتقدم ليس قاصرا على ميدان دون آخر ، أو جانبا من الحياة دون غيره ،فالحقيقة ان من استعرض السنة المباركة يجد مفهوم التكافل يتصف بالشمول لجوانب الحياة المختلفة ، والمتعددة والمتنوعة ، كالتكافل الأدبي والعلمي والدفاعي والجنائي ، والأخلاقي والمعاشي ، والعبادى وغير ذلك ٤ .
ولامغالات في ذلك ، فالبشر في مجتمعاتهم يحتاج بعضهم إلى بعض في كل شئون الحياة ،

قال الشاعر :
الناس للناس من بدو وحاضرة ... بعض لبعض وان لم يشعروا خدم
فحقيقة التكافل في السنة النبوية ليس قاصرا على الناحية المعاشية كما هو مفهوم " التكافل العصري " والذي يعبر عنه " بالتكافل الاجتماعي " ، بل هو شامل لنواحي الحياة المادية والمعنوية والروحية والجسدية ، في حين لانتفصل إحداهما عن الأخرى ، بمعنى ان النصيحة لابد ان يكون دافعها الإيمان بالله تعالى ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم في النصيحة لكل مسلم ، وكذلك كفالة اليتيم ، وتقديم العون للمحتاجين ... وهكذا .
فتشبيه النبي صلى الله عليه وسلم كفالة المسلم بعضهم بعضا بالجسد الواحد ، في هذا التشبيه دلالة على ان التكافل بينهم ليس قاصرا على جانب دون آخر . روى البخاري بسنده قول النبي صلى الله عليه وسلم " ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " ٥ وفى رواية لمسلم " المؤمنون كرجل واحد ان اشتكى عينه اشتكى كله ،وان اشتكى رأسه اشتكى كله " ٦
واخذالنووى من الحديث تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض ، وحثهم على التراحم

5- أخرجه مسلم / كتاب البر والصلة / باب تحريم الظلم ... / جـ١٦ ص١٣٤ ، ١٣٥ . (النووي)

٢- أخرجه مسلم / كتاب الإمارة / باب فضل إعانة الغازي / ج ص
٣- أخرجه البخاري / كتاب الأدب / باب تعاون المؤمنين ... / جـ١٠ ص٤٤٩ / ٤٥٠ .
أخرجه مسلم / كتاب البر / باب تراحم المؤمنين / جـ١٦ ص١٣٩
٤- راجع " اشتراكية الإسلام " ا.د / مصطفى السباعي ص ١٧٨- ١٨٣ . ط دار ومطابع الشعب ١٣٨١ /١٩٦٢
٥- أخرجه البخاري / كتاب الأدب / باب تراحم الناس / ج١٠ ص٤٣٨ . وسبق تخريجه عند الإمام مسلم .

والملاطفة ، والتعاضد في غير إثم ولا مكروه وفيه جواز التشبيه وضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى ألا فهام وقوله" تداعى لها سائر الجسد" أي دعا بعضه بعضا إلى المشاركة في ذلك ١ ومما يدل على شمول مفهوم التكافل الاجتماعي في شريعة النبي صلى الله عليه وسلم مامر بنا آنفا من قوله تعالى " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الثم والعدوان " ٢ ٠
والتعاون إعانة بعضهم بعضا ، والكلمة دالة على معنى التكافل والتضامن لتحقيق أمر ما وغاية منشودة ، وحينما أراد المولى عز وجل ان يبين مجال هذا التعاون عبر بكلمتين جامعتين ، الأولى " البر " وهى التوسع في فعل الخير ،والكلمة جامعة لأنواعه ، وقد وصف الله تعالى بها نفسه فقال :" انه هو البر الرحيم " ٣ ، وحين بر بعبده اسبغ عليه من أنواع النعم التي لا تحصى فقال " وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها " ٤
وجاء " البر " بمعنى التوسع في الإحسان ، وطيب العشرة ومكارم الأخلاق قال تعالى " وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا "٥ ٠ وجاء البر بمعنى البذل والإنفاق فقال تعالى "لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون " ٦ ٠
وقد عدد الله تعالى أنواعا للبر في آية سورة البقرة ، من أول قوله " ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب" إلى قوله " أولئك هم المتقون " ٧ ٠
وثاني الكلمتين " التقوى " وهى لاتقل عن سابقتها " البر" في المعنى لقول الله عز وجل " ألم ٠ ذلك الكتاب لاريب فيه ٠ هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيموا الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون " ٨ ٠ فمن اتقى الله حق تقاته واهتدى بكتابه ،جمع الفضائل الاعتقادية والنفسية والأخلاقية ٠اذن ففي آية التعاون دلالة على سعة مفهوم معنى " التكافل الاجتماعي " ٠
ومما يدل أيضا على الشمول في " التكافل " عند الإطلاق : ان التعاون والتضامن والتكافل هو ما تقتضيه الاخوة الإيمانية التي عبر عنها رب العزة بقوله " إنما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون "٩ ٠
ويفسر النبي صلى الله عليه وسلم مقتضيات هذه الاخوة بوسائل متعددة ، منها:
ما أخرجه مسلم بسنده عن سالم عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال" المسلم أخوا المسلم لا يظلمه ويسلمه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة " ١٠ ٠
وهذا القول الشريف حث على التكافل في جوانب متعددة ، فحث على التعاون في الحاجات ، وتفريج الكرب ، والستر على ذوى الهيئات ممن ليس معروفا بالإفساد ، ويدخل في الحاجة ، وتفريج الكرب ما كان بالمال ، أو الجاه والنفوذ ، أو المشاورة والرأي ، وقرن ذلك بالثواب عند الله عز وجل ٠

١- " راجع شرح مسلم للنووي "جـ١٦ ص ١٣٩ وما بعدها ٠
٢- سورة المائدة (٢) ٠
٣- سورة الطور (٢٨) ٠
٤- سورة ابراهيم (٣٤) ٠
٥- سورة مريم (٣٢) ٠
٦- آل عمران (٩٢) ٠ / وراجع بصائر ذوى التمييز جـ٢ ص١١٢ وما بعدها
٧- سورة البقرة (١٠) وتقدم ذكرها كاملة ٠
٨- سورة البقرة (٢٠١) ٠
٩- سورة الحجرات (١٠) ٠
١٠- سبق تخريجه ٠

إذن فالتكافل في السنة المباركة التي هي امتداد لكتاب الله تعالى لا يتوقف عند خصلة واحدة ،إنما هو التكافل الشامل لمعنى الاخوة الإيمانية للتعاون على البر والتقوى ، والتمسك بمكارم الأخلاق بين أفراد الأمة الإسلامية ، وأيضا مراعاة ذلك في الاخوة الإنسانية ، وضرورة إن يفهم جماعة المسلمين ذلك ، حتى يدركوا تماما أن السنة الشريفة هي المخلص للإنسانية من مشاكلها المتنوعة ، وان ننظر إلى السنة أيضا نظرة ملؤها الثقة والإيمان بالله تعالى بقدرتها على رقى الأمة ومدها بالقوة التي هي في اشد الاحتياج إليها في كل عصر لمواجهة أعدائها ، وفيما يأتي مزيد بيان وتأكيد وإيضاح أن شاء الله تعالى .

.....

أضواء على أنواع التكافل :
التكافل في الغالب مرتبط بالمشكلات التي تشغل جماعة المسلمين ويحياها الناس ، حياة تكتنفها المشقة والمعاناة ، وتتطلب كل مشكلة حلا تصفو به الحياة ، وتنعم به الأمة في رحاب الإيمان ٠ كما ان هذه المشكلات ليست في مرتبة واحدة بل يعلو بعضها فوق بعض ، مع الترابط فيما بينها

وعند معالجة السنة المباركة للمشكلة نجد أنها تعمل علي القضاء علي أسبابها الكامنة وراءها ٠ نري ذلك واضحا فيما رواه انس بن مالك: " ان رجلا من الأنصار أتى النبي صلي الله عليه وسلم يسأله، فقال: أما في بيتك شئ ؟
قال : بلى حلس ١ نلبس بعضه ، ونبسط بعضه ، وقعب ٢ نشرب فيه من الماء ، قال : ائتني بهما ، فاتاه بهما ، فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، وقال : من يشترى هذين ، قال رجل : أنا آخذهما بدرهم ، قال: من يزيد على درهم ؟ مرتين أو ثلاثا ، قال : رجل أنا آخذهما بدرهمين فأعطاهما اياه واخذ الدرهمين ،وأعطاهما الأنصاري وقال : اشترى بأحدهما طعاما فانبذه إلى اهلك ، واشترى بالآخر قدوما فاتنى به ، فاتاه به ، فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عودا بيده ثم قال له : اذهب فاحتطب وبع ، ولاارينك خمسة عشر يوما ، فذهب الرجل يحتطب ويبيع ، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم ، فاشترى ببعضها ثوبا ، وببعضها طعاما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا خير لك من ان تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة ، ان المسالة لا تصلح إلا لثلاثة : لذي فقر مدقع ، أو لذي غرم مفظع ، أو لذي دم موجع ٣٠
وهكذا يتسع فكر النبي صلى الله عليه وسلم حتى يتعقب ما يعرض عليه من مشكلات فيعالجها من أصولها علاجا ناجعا ، ومن هنا كانت السنة الشريفة افضل ما تعالج به قضايا العصر وكل عصر مهما وصلت درجة أزمتها أو تعقيدها ، لتصبح أساسا قويا تبنى عليه الحضارات في اطمئنان وثقة بالنجاح والتوفيق بعون الله تعالى ، بل ويمكن ان تفوق معظم حضارات الأرض تقدما ورقيا ٠
ومن الخصائص التي تكفل للسنة المباركة نجاحها ما تتصف به من شمول للبعد الزماني والمكاني ومراعاة مطالب الدنيا والآخرة ، وكل هذا يقتضي عنصرا أساسياينبغى التنبيه عليه في كل موقف وحال ، ألا وهوالايمان بالله عز وجل ، وبأنه واحد لاشريك له ، موجود في كل زمان ومكان ، لاتغيب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض ، ولا يقع في ملكه إلا ما أراد سبحانه عزوجل ٠
وقلنا سلفا أن الأخذ بمنهج السنة في التكافل افضل ما تعالج به قضايا العصر ، وعلة ذلك بالتحليل العقلي البسيط والأقرب للفهم ،هو ان السنة هى وحي من عند الله تعالى ، فلم ينطق النبي صلى الله عليه وسلم عن الهوى أو شهوة " ان هو إلا وحي يوحي " ٤ إنما هو توجيه الله تعالى لعباده وهذا التوجيه الإلهي قائم على علم الله تعالى بما يصلح عباده ٠

١- الحلس : حلس البيت كساء تبسط تحت حر الثياب ٠
٢- القعب : إناء يشرب به الماء
٣- أخرجه ابو داود / كتاب الزكاة / باب ما تجوز فيه المسالة / جـ٢ص١٢١،١٢٠ ٠
أخرجه النسائي مختصرا / كتاب البيوع / باب البيع فيمن يزيد / جـ٧ ص٢٥٩ -
٤- سورة النجم (٤) ٠

وعلى هذا فمنهج السنة النبوية المباركة في التكافل وغيره لاقامة مجتمع سليم ، لم يكن منهجا تولته العواطف والأهواء والميول البشرية الفردية أو الجماعية ، إنما هو منهج قائم على الرؤية الإيمانية التي هى مجال اليقين .

فأهداف السنة النبوية في كل ما نطقت به وشرعته واضحة جلية تقصد إلى غايتها دون التواء ، أو اعوجاج ، فنقطة البدء الإيمان بالله تعالى وهى معلومة ، وغايتها تضيء فوق الرؤوس كما إنها تربط بين الأسباب والمسببات .

وإذا كان قد حدث في حياتنا المعاصرة تغيرات فكرية بعيدة المدى عن صدر الإسلام فان ذلك لاينفى تلك الحقائق الثا بتة عند ذوى الألباب الإيمانية في باقية وثابتة ومعيار تقاس به التغيرات الفكرية الصالح منها والضار .

ومنهج السنة في التكافل يمتاز بالملائمة لجميع العصور والبيئات مادامت وجدت الأرض الطيبة التي تنمو بها ، وتعطى ثمارها يانعة ، وليست بأرض قيعان ، يبين ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله " مثل مابعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فانبتت الكلا والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا أصاب منها طائفة أخرى إنما هى قيعان لاتمسك ماء ولاتنبت كلا فذلك مثل من فقه في دين الله ، ونفعه الله بما بعثنى فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به " ١

يبين الإمام النووي معاني هذا الحديث ومقصده بأنه تمثيل الهدي الذي جاء به صلي الله عليه وسلم بالغيث ،ومعناه ان الأرض ثلاثة أنواع،وكذلك الناس :

فالنوع الأول :من الأرض ينتفع بالمطر فيحيى بعد ان كان ميتا ،وينبت الكلا فتنتفع بها الناس والدواب والزرع وغيرها ،وكذا النوع الأول من الناس فيبلغه الهدي والعلم فيحفظه فيحيا قلبه و يعمل به ويعلمه غيره فينتفع وينفع .

والنوع الثاني من الأرض :مالا تقبل الانتفاع في نفسها لكن فيها فائدة وهي إمساك الماء لغيرها فينتفع بها الناس والدواب وكذا النوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظه ، لكن ليست لهم إفهام ثاقبة ، ولا رسوخ لهم في العقل يستنبطون به المعاني والأحكام ، وليس عندهم اجتهاد في الطاعة والعمل به فهم يحفظونه حتي يأتي طالب محتاج متعطش أما عندهم من العلم أهل للنفع ، والانتفاع فيأخذه منهم فينتفع به فهولاء نفعوا بما بلغهم .

والنوع الثالث من الأرض السبخةالتى لاتنبت ونحوها فهي لا تنتفع بالماء ولاتمسكه لينتفع بها غيرها ،وكذلك النوع الثالث من الناس ليست لهم قلوب حافظة ،ولا افهام واعية ،فإذا سمعوا العلم لا ينتفعون به ولا يحفظونه لنفع غيرهم٢.

١- أخرجه البغوى في" المصابيح " / كتاب الإيمان / باب الاعتصام بالكتاب والسنة / جـ١ ص ١٥٣، ١٥٤ .
- أخرجه البخاري / كتاب العلم / باب فضل من علم وعلم / جـ١ص ١٨٥ ، ١٨٦ . (الفتح) .
- أخرجه مسلم / كتاب الفضائل / باب بيان مثل ما بعث النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم / جـ١٥ ص ٤٦ (النووي) .
٢- " شرح صحيح مسلم للنووي جـ ١٥ ص ٤٧ ،٤٨/ راجع أيضا فتح الباري لابن حجر جـ١ ص١٨٦، ١٨٧ .

إذن فدرجة الانتفاع بما وردت به السنة المباركة إنما يرجع إلى الأرض والبيئة ،فصفاء النفس من ألا كدار والاغيار وانشراح الصدور لقبول الهدى من أهم عوامل الانتفاع بها ، وما فيها من هداية وعلم وعمل لاينقضى ولا يتغير إلا إلى الرقى والتقدم ، وقد تضمنت أسمى الأهداف ، وانسب الطرق المؤدية إليه وما يعين على الوصول إلى الهدف من وسائل ، وفى المباحث التالية نتعرف على موقف السنة الشريفة من بعض جوانب التكافل وأسلوبها في معالجتها ٠

.....

المبحث الثاني
في التكافل الأدبي

التكافل الأدبي : الأدب هو معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ ١ ٠ ويعرف بأنه استعمال ما يحمد قولا وفعلا ، وهو أيضا الأخذ بمكارم الأخلاق ، أو هو الوقوف مع المستحسنات ٢ ٠ فالتكافل الأدبي على هذا : شعور كل واحد من المسلمين تجاه الاخر بوجوب دلالته على ما يحترز به عن الوقوع في الخطأ ، وما يحمد قولا وعملا ، وان يتمسك بمكارم الأخلاق ،فيترك كل قبيح ويأخذ كل حسن حسبما دل عليه الشرع وطبيعي ان يحب الإنسان كل ما يحمد عليه، ولذلك جمع النبي صلى الله عليه وسلم ذلك كله في قوله : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ٠ ٣

فشعور المسلم نحو أخيه بالحب والعطف ، يؤدى بالضرورة إلى التكافل فيما بينهم للوصول إلى أمة تسودها مكارم الأخلاق وتصبح سمتها الغالبة عليها ان لم تكن شاملة لكل أفرادها ، فيفرح المسلم لفرح أخيه ، ويهتم لهمه ، ويحزن لحزنه ، ويرشد إذا غوى ، ويهديه إذا ضل ٠ ويرحمه عند ضعفه ، فيعامله بما يحب ان يعامل به ، ويكره له ما يكرهه لنفسه ، ويخلص له النصح إذا استنصحه ، ويسعى في إصلاح ذات البين ، سائلين الله تعالى لامة المسلمين المغفرة والهداية ، كما ارشد الله تعالى إلى ذلك بمدحه القائلين " ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا باللايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ٠٠٠ " ٤ ٠

ومن مظاهر التكافل الأدبي في السنة المباركة إضافة إلى ما تقدم النهى ان يسب الرجل والديه بنفسه أو يكون سببا لذلك ، اخرج البخاري بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان من اكبر الكبائر ان يلعن الرجل والديه قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه ٠ ٥

فمن اكبر الكبائر عند الله تعالى يبينها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله سالف الذكر ، فشتم الرجل والديه من اكبر الآثام التي حذرت السنة منها والحال يقتضي التكافل في بيان عظم حق الوالدين ، والإحسان إليهما وترك عقوقهما ، وطاعة أمرهما ٠

ومن مظاهر التكافل الأدبي : صلة الأرحام فقد اخرج البخاري في كتاب الأدب بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه انه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من سره ان يبسط له في رزقه ، وينساله في أثره فالبصل رحمه ٠ ٦

وفى هذا الحديث إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بالبركة في المال والأجل لمن وصل رحمه ، وهذا الخير محبب إلى كل إنسان ،فالدعوة إلى صلة الرحم هى ذات خير مزدوج لكل من الطرفين ، الواصل والموصول ، فهذا الخير داع إلى بعث التكافل وتحقيقه ٠

ومن مظاهر التكافل الأدبي ترك الفحش ومساوئ الأخلاق ، وتربية الأولاد على محاسنها وتعليمه الصدق الذي يهدى إلي البر الجامع للخير فعن عبد الله رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :ان الصدق يهدى إلى البر ، وان البر يهدى إلى الجنة ، وان الرجل ليصدق حتى يكون صديقا ، وان الكذب يهدى إلى الفجور ، وان الفجور يهدى إلى النار ، وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذبا ٠ ٧

١- " كتاب التعريفات للجرجانى ص١٥ بتصرف ٠
٢٠- فتح الباري جـ١٣ ص٣ بتصرف ٠
٣-اخرجه مسلم / كتاب الإيمان / باب من خصال الإيمان ٠٠٠ / جـ٢ص ١٦
٤- سورة الحشر (١٠)

٥-أخرجه البخاري / كتاب الأدب /باب لا يسب الرجل والديه / جـ١٣ ص ٧ (الفتح)
٦- أخرجه البخاري/ باب من يبسط له في الرزق لصلة الرحم / جـ ١٣ ص ٢٠ (الفتح)
٧- أخرجه البخاري / كتاب الأدب / باب ما ينهى عن الكذب / جـ ١٣ ص ١٢١ ،١٢٢ ٠ (الفتح) ٠

فالتكافل الادبى يدعو الى تربية الأبناء على هذه الصفة فالصادق ممدوح ، والكاذب مذموما ، وهذه المظاهر المذكورة فى التكافل الادبى ما هى إلا قطرة من غيث التوجهات النبوية في هذا الباب ٠ ١

ومن اعظم ابواب التكافل الادبى فى السنة الشريفة المحافظة على كرامة الفرد وحريته ، فاشد انواع الزل والمهانة والاستحقار الذى يقع بالانسان فى حياته الدنيا عبودية الانسان للانسان ، فالعبودية لله تعالى وحده ، الخالق لاشريك له وحينئذ تكون العبودية عزة ورفعة وشرف ٠

وجوهر السنة الشريفة يؤكد هذا المعنى – بعد كتاب الله عز وجل – كما تؤكد حق كل انسان فى الحرية وتكافؤ الفرص ٠

وحين جاء الاسلام كانت مسألة الرق من اظهر معالم الجاهلية ، واكثرها انتشارا ، فوقفت السنة موقف المناهض لهذه الظاهرة التي تفاقمت ، وعالجها بحكمتها المعهودة ، فالمؤمنون اخوة بنص كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فكيف يرتضى الاخ عبودية أخيه وكيف يكون المؤمن للمؤمن كالبنيان وهو يرفل فى اغلال الرق والاستعباد ، فكان للتكافل الادبى فى السنة اثره الفعال فى القضاء على هذه الظاهرة ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم " من ملك ذارحم محرم منه فهو حر " ٢

ويجعل النبى صلى الله عليه وسلم " العتق عتق من النار " فيقول عليه الصلاة والسلام : من اعتق رقبة مسلمة اعتق الله بكل عضو منه عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه ٠ ٣

وياتى اعرابى أبى النبى صلى الله عليه وسلم فيقول : علمنى عملا يدخلنى الجنة ، قال صلى الله عليه وسلم : لئن كنت اقصرت الخطبة لقد اعرضت المسالة : اعتق النسمة ، وفك الرقبة ، قال أو ليس واحدا ؟ قال : لاعتق النسمة ان تفرد بعتقها ، وفك الرقبة ان تعين فى ثمنها ٠٠٠ " ٤

وقد كان ذلك امتداد طبيعى لقول المولى عز وجل " ألم نجعل له عينين ، ولسانا وشفتين وهديناه النجدين ، فلا اقتحم العقبة ، وما ادراك ما العقبة فك رقبة " ٥

وقد أرشدنا الله عز وجل إلى مكاتبة الارقاء بقوله عز وجل " والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذى آتاكم ٠ ٦

ومن دلالات هذه الأية الكريمة ارشاد المسلم الى تجاوز امر الموافقة على المكاتبة إلى مساعدته فى اداء ما كاتبه عليه ، وعلى المسلمين ايضا التعاون معه ، ذهب ابراهيم النخعى وبريد ابن الحصيب الاسلمى وقتادة فى قوله " وآتوهم من مال الله الذى آتاكم " قالوا : حث الناس عليه مولاه وغيره ٠ ٧

١- راجع ابواب الادب فى كتب السنة المصنفة على الابواب ، وباب البر والصلة والاداب فى صحيح الامام مسلم ٠
٢- أخرجه أبو داود / كتاب العتق / باب فيمن ملك ذا رحم محرم / ج٤ص٢٦ ٠
- أخرجه الترمزى / كتاب الأحكام / باب ما جاء فيمن ملك ذا رحم / ج ٣ص ٦٤٦ ٠
- واخرجه ابن ماجة / كتاب العتق / باب من ملك ذا رحم / ج٢ص ٨٤٣ ٠
أخرجه احمد ج٥ ص٢٠ ٠
٣- أخرجه البغوى في المصابيح / كتاب العتق / باب / ج ٢ ص ٤٨٤ ٠
والحديث أخرجه البخاري / كتاب كفارات الأيمان / باب قوله تعالى " أو تحرير رقبة " / ج١١ ص ٥٩٩ ٠
أخرجه مسلم / كتاب العتق / باب فضل العتق / ج ١٠ ص ١٥١ ٠
٣- أخرجه البغوى في المصابيح / كتاب العتق / باب / ج٢ ص ٤٨٥ ٠ (جزء حديث) ٠
أخرجه احمد /ج٤ ص ٤٩٩ ٠
٥ سورة البلد (٨-١١) ٠
٦- سورة النور جزء من الايه (٣٣) ٠
٧- راجع " تفسير القرآن العظيم " لابن كثير ج٣ ص٢٨٨ ٠

وفى اسلوب هذه الاية : الترغيب فى التكافل وعدم التقاعس بما لا يغيب عن عقل كل لبيب فانه يقول : تضامنوا معهم بهذا المال الذي هو في الحقيقة والأصل مال الله ، " وآتوهم من مال الله الذي آتاكم " ، وسارعت السيدة عائشة رضى الله عنها كما سارع غيرها في فك الرقاب ، اخرج مسلم بسنده عن عائشة قالت : دخلت على بريرة فقالت أن أهلي كاتبوني على تسع اواق فى تسع سنين في كل سنة أوقية فأعينيني ، فقلت لها إن شاء اهلك أن أعدها لهم عدة واحدة واعتقك ، ويكون الولاء لى ففعلت ، فذكرت ذلك لاهلها فأبوا آلا أن يكون الولاء لهم ، فأتتني فذكرت ذلك قالت : فانتهرتها فقالت : لاها الله ١اذا قالت : فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاخبرته ، فقال : اشتريها واعتقيها فان الولاء لمن اعتق ففعلت ٠٠٠ الحديث ٢

وبذا نجد ان السنة المطهرة استطاعت القضاء على ذل الإنسان للإنسان ، في مجتمع كان يجعلها ركنا أساسيا ، وعنصرا هاما من عناصر حياته فلا يخطر بباله أن ستغنى عن الرق يوما من الأيام أو أن يتخلى عنه ، و كان لأسلوب التكافل الذي دعت اليه السنة مكانته في القلوب والأرواح التي غمرها النور الإيماني ٠

هذا إضافة إلى الوسائل الأخرى من كفارة اليمين ، أو القتل الخطأ أو الظهار ، أو تشريع النهى عن بيع أمهات الولد ٠٠ ٠ الخ آخر هذه الطرق التي وجهة إليها السنة مبينة عن المولى عز وجل ، المستقلة بأمر الله تعالى بالتشريع ٠

ويعلق على هذا المعنى الأمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت بقوله : وهذه الناحية قد انقرض أفرادها بانقراض الرق الذي يتشوف إليه الإسلام ، ولكن فيما أري قد حل محله الان رق هو اشد خطرا منه على الإنسانية ، ذلكم هو استرقاق الشعوب في أفكارها ، وفى أموالها ، وسلطانها ، وحريتها ، وبلادها ، كان ذاك رق أفراد يموت بموتهم ، وتبقى دولهم حرة رشيدة ، ولها من الأمر والأهلية ما لسائر الأحرار الراشدين ولكن هذا رق شعوب وأمم ، تلد شعوبا وأمما هم في الرق كآبائهم ، فهو رق عام دائم ، يفرض على الأمة بقوة ظالمة غاشمة !!!

أذن فما اجدر هذا الرق بالمكافحة والعمل على التخلص من ، ورفع ذله عن الشعوب ، لا بمال الصدقات فقط ، بل بكل الأموال والأرواح ، وبذلك نعرف مقدار مسؤولية أغنياء المسلمين عن معونة الشعوب الإسلامية أ٠هـ٣٠

١- " لاها الله " معناه لا والله هذا ما اقسم به ٠ (شرح صحيح مسلم للنووي) ح ١٠ ص١٤٥ ٠

٢- أخرجه مسلم / كتاب العتق / باب أن الولاء لمن اعتق / ج١٠ ص ١٤٥ جزء الحديث ٠

٣- انظر كتاب " الإسلام عقيدة وشريعة) ص١٠٤ ط الثانية عشر ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣ ٠ ط دار الشروق ٠

المبحث الثالث

التكافل في صيانة الأخلاق عن الفســـــــــاد

تجعل السنة النبوية المطهرة جماعة المسلمين مسئولين عن صيانة الأخلاق عن الفساد والفوضى والانحلال والإباحية فينبغي عليهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وليس في ذلك تجاوز أو بغى أو اعتداء على الحريات الشخصية ، فلو عم الفساد لهلكت الأمة ، كما قال تعالى " وإذا أردنا أن نهلك قرية امرنا متر فيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا " ١ نعوذ بالله من غضب الله ٠

وقد حزر النبي صلى الله عليه وسلم العرب من الفتن لانهم أول من دخل في الإسلام ، والإنذار بان الفتن ، كما يقول شيخ الإسلام – إذا وقعت كان الهلاك أسرع إليهم ٢ ، اخرج البخاري بسنده عن زينب ابنة جحش رضى الله عنها قالت : استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم من النوم محمر أوجهه يقول : لااله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم ياجوج ومأجوج مثل هذه ،(وعقد سفيان تسعين) ومائة) قيل : انهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثر الخبث ٠ ٣ ، لهذا الأمر وخشية النبي صلى الله عليه وسلم على أمته خير أمة أخرجت للناس أوجب عليها التكافل في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قال : صلى الله عليه وسلم : " من رأى منكم منكر فليغيره بيده ، فان لم يسطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان ٤ وقال صلى الله عليه وسلم " والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم " ٥

لقد حث النبي صلى الله عليه وسلم وحرض على الاهتمام بهذه الخصلة ، ودوام المحافظة علها لان الله عز وجل قد لعن بنى إسرائيل حين تركوها فقال : عز وجل " لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون " ٦

ويبين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك القول الرباني بقوله :" أن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فانه لا يحل لك ، ثم يلقاهمن الغدى فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشر يبه وقعيدة ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال " لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ٠٠٠ الى قوله فاسقون " ٠ ثم قال : كلا والله لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ، ولتا طرونه ٧ على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا ، وفى رواية لسالم عن أبى عبيدة عن ابن مسعود " أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ، ثم ليلعنكم كما لعنهم ٠ ٨

١سورة الإسراء ١٦

٢- فتح الباري ج١٦ ص ١١٧

٣-اخرجه البخاري / كتاب الفتن / باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : ويل للعرب ٠٠٠ / ج١٦ ص١١٧-١١٨(فتح) ٠

٤- أخرجه مسلم / كتاب الأيمان / باب كون النهى عن المنكر ٠٠٠ / ج١ ص٦٩ ٠

٥- أخرجه البغوى في المصابيح / كتاب الأدب / باب الأمر بالمعروف / ج٣ ص٤٠٨

واخرجه الترمزي / كتاب الفتن / باب ما جاء في الأمر بالمعروف / ج٤ ص ٤٦٨

أخرجه احمد /ح ٥ ص٣٨٨ ٠

٦= سورة المائدة (٧٨ – ٧٩) ٠ ٧-اطرا : أي جبرا ٨- أخرجهما ابو داود / كتاب الملاحم / باب الأمر والنهى / ج٤ ص ١٢١- ١٢٢ ٠

ويذهب النبي صلى الله عليه وسلم مذهبا عظيما في بيان هذه الصورة التضامنية ، وكفالة المسلمين بعضهم بعضا ، فيضرب هذا المثل الرائع للإقناع تارة ، وللتحذير من ترك التكافل في إصلاح الأخلاق تارة أخرى ،

يقول عليه الصلاة والسلام " مثل القائم على حدود الله تعالى ، والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فاصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من من فوقنا ، فان يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وان اخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا " ١

وعلى هذا ففي التكافل الأخلاقي يحصل النجاة للامة والاهلك الفاسد بفساده ، والساكت برضاه ، ويلاحظ في هذه النصوص النبوية ، مدى إبداع النبي صلى الله عليه وسلم ، في أسلوبه الذي تنوع بين الترغيب والترهيب وضرب الأمثال لا يضاح المعنى في ذهن السامعين ٠

فمكارم الأخلاق إحدى مقاصد البعثة النبوية ، ولن يكون تصويرا أبدع مما قاله جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه حين خرج ومن معه فرارا بدينهم من أذى قريش وطغيانهم ، وأرسلت قريش في طلبهم لمزيد من العذاب ، فوقف جعفر بن أبى طالب أمام ملك الحبشة موطن هجرتهم الأولى قائلا : أيها الملك كنا قوما اهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسئ الجوار ويأكل منا القوى الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله تلينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقة، وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ، ونعبده ، ونخلع ماكنا نعبد نحن وآبائنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وامرنا بصدق الحديث ، واداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم ، والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، واكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وامرنا أن نعبد الله وحده لانشرك به شيئا ٠٠٠ الخ ٢

هذا هو واقع الحال قبل الإسلام وبعده ، وكم كان جهاد النبي صلى الله عليه وسلم في نشر مكارم الأخلاق ، والترغيب فيها طالبا لنقاء المجتمع من الفساد ، وافوضى والانحلال وحرصا على بقاء الفطرة صافية نقية ، واخلاص السرير ة لله تعالى ٠

ومن نظر في السنة أيقن أن كل ما حرم على المسلم ، إنما هو مخالف لمكارم الأخلاق ، والآداب النفسية ٠

أن التكافل الأخلاقي مصدر عظيم للنهوض بالحياة الاجتماعية إلى المستوى الرفيع ، والرقى والحضارة والتقدم ، خاصة إذا سلك الدعاة مسلك النبي صلى الله عليه وسلم ، بمنطق هادئ ، وقلب عقول ، لاتغيب عنه حقيقة علمية ، مهما تطورت الأمم ، وتقدمت معارفها ، واتسع نطاق بحثها ومكتشفاتها ، ذلك لانه دين ممتد ، فدعوته صلى الله عليه وسلم متصلة العطاء ، وارفة الظلال ، دائمة الحياة والنضارة والبهاء تقصد إلى الهدف في قوة خارقة ، وليس هذا بالكثير على من آتاه الله تعالى جوامع الكلم ، ومقاليد الحكمة ، وصدق الحديث ٠

فلو تدبر علماء الفلسفة والاجتماع ، وعلماء الطبيعة أقوال النبي صلى الله عليه وسلم بعين البصيرة والأنصاف لخروا سجدا لله تعالى ،وما وسعهم إلا التسليم التام لرسوله صلى الله عليه وسلم ٠

١-أخرجه البخاري / كتاب الشركة / باب هل يقرع في قسمة٠٠٠ / جـ٨ صـ٥٨ ٠

٢-(راجع " مختصر سيرة ابن هشام" جـ١ صـ٢١٣ ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٤١٣- ١٩٩٣ / "البداية والنهاية " لابن كثير جـ٣ صـ٧٥/٦٦ ٠

فمن الحقائق الثابتة عند هؤلاء العلماء وغيرهم: انه لا ترقي أمة من الأمم إلا بتكاتف أفرادها وتعاونهم، وفهم هذه الحقيقة من اكبر عوامل التقدم ٠

وبناء علي هذه الحقيقة أن التكافل الأخلاقي في السنة لم يرد كشيء عابر وانما نجد في كل قول من أقوالها أو مسلك من مسالكها تؤكد هذه الحقيقة ، حتي اجمع العلماء بناء علي الأقوال النبوية وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولمن يخالف في ذلك سوي بعض الروافض ، فقال أمام الحرمين : لا يكترث بخلافهم في هذا فقد اجمع المسلمون عليه قبل أن ينبغ هؤلاء ، ووجوبه بالشرع لا بالعقل ٠ ١

واما قوله تعالي :" يا أيها الذين أمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم" ٢

فمراد الآية- والله اعلم – أن من قام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولم يستجب له فلا إثم عليه ، ولا يضره ذنب غيره كما قال تعالي " كل امرئ بما كسب رهين"٣

لقد بكي أبو سعيد الخدري في زمانه حين روي قول النبي صلي الله عليه وسلم في خطبته : " ولا تمنعن أحدكم هيبته الناس، أن يقول بحق علمه٠ " وفي رواية : أن راي منكرا أن يغيره ، فبكي أبو سعيد وقال : قد رأيناه فمنعتنا هيبة الناس أن نتكلم فيه " ٤

ومما يثير العجب ما قال النووي وهو من علماء القرن السابع الهجري ولد في "٦٣١" ٠٠ والنهي عن المنكر قد ضيع أكثره منذ أزمان متطاولة ولم يبقي منه في هذه الأزمان - يعني عصره- ألا رسومه " ٥ وه عصر كان هو فيه ٠

أذن فما نقول في زماننا ونحن نري اختلاف الأخلاق في نحو اقل من نصف قرن من الزمان بدرجة تثير الأسي والحزن ٠ نعم: الخير في أمة محمد صلي الله عليه وسلم وسوف يظل عليه ٠ جهد ورثته من العلماء المخلصين إلى يوم الدين ، ولكن اندلاع لهيب السفور والاختلاط والمجانة ، وضحايا الشهوات ، وصرعى المنكرات ، مما يندى له الجبين ٠

فنحن في مسيس الحاجة إلى تكافل أخلاقي في طول البلاد وعرضها لتنبيه الناس من سباتهم العميق ، وصمودا ضد دعاة الانحلال ، وانصار الفوضى ، واخوان الشياطين الذين يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ٠

ومما ينبغي التنبه إليه أن الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة افضل الأساليب في تحقيق المطلوب ، وهكذا المنهج النبوي الذي تلقاه عن المولى عز وجل في قوله تعالى " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن أن ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين " ٦ ٠

١- راجع" شرح صحيح مسلم للنووي " ج٢ ص ٢٢ ٠

٢-سورة المائدة "١٠٥" ٠ 3-

٣- سورة الطور(٢١)

٤- أخرجه البغوي/ كتاب الآداب/ باب الأمر بالمعروف/ ج٣ ص ٤١١ جزء الحديث٠

- واخرج الحديث الترمذي/ كتاب الفتن/ باب ما جاء ما اخبر به النبي صلي الله عليه وسلم اصحابه٠٠٠٠/ ج٤ ص ٤٨٣ وقال" حسن صحيح"٠

أخرجه احمد ج٣ ص ٦١ ٠

٥ - الموضع السابق ج٢ ص٢٢

٦- سورة النحل (١٢٥) ٠

فالتخلى عن العنف والغلظة والجفاء ، والإحراج ، وتحرى الوداعة والعطف في الدعوة أحرى بالقبول والاستجابة قال تعالى " ولوكنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم ... " ١ والقدوة في التكافل بمنزلة عصا موسى عليه السلام ، وبيان سيدنا محمد خير الانام.

ومن مظاهر التكافل الأخلاقي " النصيحة "التي جعلها النبي صلى الله عليه وسلم الدين كله ، روى تميم الدارى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " الدين النصيحة ، -ثلاثا-قلنا : يا رسول الله لمن؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ، ولائمة المسلمين وعامتهم " ٢ ففى الحديث صورة لتكافل عام أخلاقي لا يتوقف عند جهة واحدة ، ولكل ما يناسبها .

أن الحرية التي ينادى بها في أوطاننا يحمد عليها ولاة الأمور ، واعتقد إنها لا تعنى بعدا عن الدين واخلاقه ، ولا تعنى انطلاقا دون حدود ينبغي للمسلم أن يتوقف عندها ، واخطا من فهم غير ذلك ، فالفساد الأخلاقي الذي يقتضي النصيحة إنما يرجع إلى الخروج عن تعاليم السماء ، ونبذ الحياء الذي لاياتى الابخير ، والجرى وراء تقليد المجتمعات غير الإسلامية في سلوكياتها التي زلولت أركان الفضيلة بل وزخرفت الرذيلة فألبستها رداء التقدم والحضارة ، ونحو ذلك من الألفاظ المعاصرة ، والسنة بريئة من كل شئ خالف شرع الله ودينه .

وهذه الصورة تثبت حكمة النبى صلى الله عليه وسلم في الحث على التكافل والتناصح ، ومما يكاد يثلج الصدر ونسال الله التوفيق ما ورد فى قرارات المؤتمرات الإسلامية ، خاصة في هذه الأيام وبعد الأحداث التي سادت العالم ونعيشها وذلك من الدعوة المتكررة في هذه المؤتمرات إلى ضرورة عرض الشريعة الإسلامية في دول الغرب بما فيها من سماحة وعلو الأخلاق ، ولم يكن ذلك قرين هذه الأحداث بل جاء في قرارات المؤتمر الاسلامى الثالث لوزراء الأعلام عام (١٩٩٥) في ختام اجتماعاته التىكان فى مقدمتها ضرورة إبراز التضامن الإسلامي في الدفاع عن القضايا الإسلامية والسياسية للحملة الظالمة التي تستهدف تشويه صورة الإسلام والمسلمين وابراز قيم الإسلام السمحة ، وتعزيز التعاون للارتقاء بإمكانات وآراء مؤسسات الأعلام بالدول الإسلامية ومواكبتها للتطورات في مجال الاتصالات ، أضف إلى ذلك إنشاء اتحاد إسلامي للصحفيين في الدول الإسلامية . ٣

فالأمة الإسلامية في اشد الحاجة إلى تزكية مثل هذا التكافل والتضامن الإعلامي لتقويم الأخلاق ، فان الأعلام بأنواعه ذا اثر بالغ في نفوس النشء بصفة خاصة .

والحق أن السنة الشريفة بعد كتاب الله تعالى مورد لا ينضب ، ونبع فياض يستمد منه الداعية الإعلامي وغيره ما شاء من التوجيهات المشرقة ، وهذا ما نرجوه من أقسام الصحافة والأعلام في الجامعات عامة ، وجامعة الأزهر خاصة .

ففي السنة يجد الإعلامي ما يرقق القلوب الجامدة ، ويرهف الوجدان ، ويشرح الصدر لنور الحق ، ففيها القصص الهادف ، والأمثال المعبرة ، وصور الترغيب والترهيب ، فهي تخاطب الكيان الإنساني جميعه ، وتعمل على بناء الشخصية المسلمة المتكاملة ، ذات الروح الصافية ، وحين يصل التكافل الأخلاقي بالمسلم إلى هذا المستوى ، يكون جديرا بنسبته إلى خير أمة أخرجت للناس قال تعالى " كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله " ٤

١- سورة آل عمران (١٥٩) .

٢- أخرجه البغوى في المصابيح / كتاب الأدب / باب الشفقة والرحمة / ج ٣ ص٣٦٧ .
- والحديث أخرجه مسلم / كتاب الأيمان / باب بيان أن الدين النصيحة / ج١ ص ٧٤ .

٣- صحيفة الأهرام عدد ٣٩٦١٧ صادر في يوم الجمعة ٢٦ من ذي الحجة ١٤١٥ - ١٩٩٥

٤- سورة آل عمران (١١٠) .

الغزو الأخلاقي الخارجي يقتضي الأخذ بمنهج تكافل السنة النبوية :

عندما باءت الغزوات الحربية من أعداء الإسلام والمسلمين بالفشل ، توجهوا إلى نوع آخر من غزواتهم ، ألا وهو الغزو الفكري الذي يعتبر في نتائجه اخطر من الغزو الحربي ، وكل ما يرجوه تدمير أخلاق المسلمين وعقولهم ، وصلتهم بالله ، واطلاق شهواتهم واهوائهم ترتع في ربوع الرذيلة ، والآثام ، يقول (زويمر) رئيس جمعيات التبشير في مؤتمر القدس للمبشرين المنعقد عام ١٩٣٥ : إن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست في إدخال المسلمين في المسيحية في هذا هداية لهم وتكريما ٠

إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله ، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق إلى تعتمد عليها الأمم في حياتها ، وبذلك تكونون بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية ٠

لقد هيئتم جميع العقول في الممالك الإسلامية لقبول السير في الطريق الذي سعيتم له ، ألا وهو إخراج المسلم من الإسلام ، أنكم أعددتم نشئ لا يعرف الصلة بالله ، ولا يريد أن يعرفها ، أخرجتم المسلم من الإسلام ، ولم تدخلوه المسيحية ، وبالتالي جاء النشء الإسلامي مطابقا لما أراده له الاستعمار ، لأبهتم بعظائم الأمور ويحب الراحة والكسل ، ويسعى للحصول على الشهوات بآي أسلوب ، حتى أصبحت الشهوات هدفه في الحياة ، فهو أن تعلم فللحصول على الشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات ، وإذا تبوا أسمي المراكز ففي سبيل الشهوات ، انه يجود بكل شئ للوصول إلى الشهوات أيها المبشرون : أن مهمتكم تتم على اكمل الوجوه ٠ ١

ويقول في كتابه (الغارة على العالم الإسلامي) : أن للتبشير بالنسبة للحضارة الغربية مزيتان ، مزية هدم ، ومزية بناء : أما الهدم : فنعنى به انتزاع المسلم من دينه ، ولو يدفعه إلي الإلحاد ، واما البناء : فنعنى به : تتصير المسلم أن أمكن ليقف مع الحضارة الغربية ضد قومه ٠ ٢

ولاخر يدعى "جب " قوله : لقد فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية وأخذت دائرة نفوذه تضيق شيئا فشيئا حتى انحصرت في طقوس محدودة وقد تم معظم هذا التطور تدريجيا عن غير وعى وانتباه ، وقد مضى هذا التطور إلى مدى بعيد ، ولم يعد من الممكن الرجوع فيه ، لكن نجاح هذا التطور سيتوقف إلى حد بعيد على القادة والزعماء في العالم الإسلامي ، وعلى الشباب منهم خاصة ، كل ذلك كان نتيجة النشاط التعليمي والثقافي العلماني ٣

وغير ذلك من الأقوال التي تؤكد حكمة النبي صلى الله عليه وسلم في الحث على التكافل الأخلاقي ، لينقذ كل مسلم أخاه ، قبل أن ينجرف في الغواية بأشكالها المتلونة بحسب العصور والبيئات يقول عليه الصلاة والسلام "ألا كلكم راع وكل مسئول عن رعيته ٠٠٠" ٤

فإذا اخذنا الرعاية بالمعنى العام اندرج فيه رعاية المسلم لأخيه المسلم ٠

نحمد الله تعالى انهم يعلمون أن تمام العلم صدق دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ، كما قال تعالى" الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنائهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون " ٥

١- انظر كتاب " دمروا الإسلام بأيدي اهله " ا. جلال العالم ص٥٢ ط دار الاعتصام ٠

٢- المرجع السابق ص ٥٣ ٠ ٠

٣-المصدر السابق ص ٥٣- ٥٤

٤- أخرجه مسلم كتاب الأمارة / باب فضيلة الأمير العادل ٠٠٠ / ج١٢ ص ٢١٣ (النووي)

٥ سورة البقرة (١٤٦)

وقد حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم رؤوس الكفر وارشدنا إلى التكافل في جهادهم فقال صلى الله عليه وسلم :" جاهدوا المشركين بأموالكم وانفسكم وألسنتكم " ١
فالخطاب في الحديث بصيغة الجمع يشير إلى التكافل في التصدي لاعداء الإسلام ، وتذكيرهم بآيات الله تعالى دون إكراه كما فعل المسلمون حين نزلوا بلادهم عسى أن يهتدوا ، ويرتع الحقد من نفوسهم ، ويعلموا أن كلمة الله هي العليا ، لقد دفع المسلمون عنهم طغيان حكامهم ، ونشروا الفضيلة والأخلاق بينهم ، ونظموا السلوك الفردي والجماعي بينهم ، ففاز من سارع منهم إلى الخير وخاب وخسر من اعرض عن ذكر الله تعالى .
وخلاصة القول : إن السنة الشريفة دعت إلي التكافل لتحقيق الرقى الأخلاقي ، وصون الأخلاق عن الفساد ، واتبعت في ذلك أساليب متعددة : تارة بالترغيب ، في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وبيان أن الدين النصيحة ، وتارة بالترهيب من السكوت على ظلم الظالم ، وتارة بصيغة العموم ، وأخرى على جهة التفصيل ،ككفالة اليتيم ، والإحسان إليه ، والوصية بالجار ، فكل جار يكفل جاره ، واكرام الكبير ورحمة الصغير ، وإزالة الأذى عن الطريق ، ولا نبالغ إن قلنا أن في أداء شعائر الإسلام جماعة دعوة إلى التضامن الأخلاقي في إعلاء كلمة الله تعالى .
اخرج البخاري بسنده عن معاوية انه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من كذبهم ، ولا من خذلهم حتى أمر الله وهم على ذلك . ٢

١- أخرجه البغوى في المصابيح / كتاب الجهاد / باب / ج ٣ ص ٤٦
-أخرجه الدارمى / كتاب الجهاد / باب جهاد المشركين / ج٢ ص٢١٣ .
أخرجه احمد / ج ٣ ص ١٢٤
٢- أخرجه البخاري / كتاب التوحيد / باب قول الله تعالى " إنما امرنا لشيء إذا اردناه ... / ج١٧ ص ٢١٩ (الفتح)

المبحث الرابع

التكافـــــــل العلمي

وضع الله تعالى في النفوس أمورا لا تحتاج في إثباتها إلي دليل فعلم النفوس بها علما ضروريا ، ولا نبالغ حين نقول أن فضل العلم أمر مركوز في النفوس ، غير قابل للإنكار الا مراء ، أو غواية شيطانية فيحسن لهم ترك العلم ، والقدح في المشتغلين به ٠

ولما قدح أهل الجهل في العلم شرع العلماء في بيان فضله ، ورفعة قدره وعلو شرفه ، فاعظم دليل على فضيلة الشيء النظر إلى ثمرته ، فالعلم غاية اللذات العقلية ، خاصة إذا أدى إلى أدى إلي معرفة الحق ، وطاعة الله تعالى ، فمتى أدى إلي هذه الغاية فتحت له ابوابالانتفتح لغيره ، قال تعالى " كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون " ١ قال ابن كثير : أي نبين الحجج والأدلة ٠ ٢

فمن اعمل فكره الصافي عن ألا كدار دله على طلب اشرف المقامات ، والعلم اشرف مكتسب ، ولاخصيصة اشرف منه ، مادام تعلقه بالحق جل وعلا ٠

إن العلم في الإسلام بمنزلة الروح من الجسد ، فالعالم يعرف الطريق ، والجاهل ضال عنه ، وينكشف للعالم المطلوب انكشافا تاما فيميز بين الأشياء ويعرف الغاية من وجوده ويعرف كيف يصل إليها ، ألا وهى عبوديته لله تعالى ٠

وتظاهرت آيات القران الكريم على شرف العلم وفضله ، منها الحث على بذل غاية الجهد في تحصيله كقوله تعالى " يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات " ٣

والمعنى : يرفع الله المؤمن العالم على المؤمن غير العالم ، ورفعة الدرجات تدل على الفضل ، إذ المراد به كثرة الثواب ، وبها ترفع الدرجات ، ورفعتها تشمل المعنوية في الدنيا بعلو المنزلة ، وحسن الصيت ، والحسية في الأخرة بعلو المنزلة في الجنة ٠ ٤

وقال تعالى " وقل رب زدني علما " ٥

في هذه الآية دليل واضح على فضل العلم ، ومكانته عند الله تعالى ، لانه يترتب عليه قوة الأيمان ، وشدة العناية بأمره ، وطاعته عز وجل ، فا لله عز وجل لم يأمر نبيه بطلب الازدياد من شئ " كما يقول ابن حجر" الأمن العلم ٦٠

ويبين الله عز وجل مكانة العلماء بقوله " شهد الله انه لااله إلا هو والملائكة والوا العلم قائما بالقسط لااله الا هو العزيز الحكيم " ٧ ، فانه ثلث بالعلماء ، وناهيك بهذا شرفا عظيما ،وفضلا جزيلا ، ومزيد التشريف في قوله تعالى " قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب " ٨ ٠

١- سورة يونس (٢٤) ٠
٢- انظر ابن كثير ج٢ ص٤١٣ ٠
٣- سورة المجادلة (١١) ٠
٤- راجع فتح الباري ج ١ ص١٤٩ ٠
٥- سورة طه (١٤) ٠
٦- فتح الباري ج١ ص ١٤٩
٧- سورة آل عمران (١٨) ٠
٨- سورة الرعد (٤٣) ٠

وإجمالا فان القران الكريم دعا إلي العلم ، ونبه إليه بألفاظ متعددة كالفقه والفهم والتدبر والتفكر والباب مما كان العلم مقدمة له ، أو ثمرة من ثماره ، ورد ذلك في مواضع كثيرة بالإثبات والنفى ، أو وصفا لله تعالى ، فلن يصح تصديق بالله عز وجل وانقياد له ، مالم يكن صاحبه ذا علم ، وكل علم يرفع جهلا فهو مطلوب شرعا ٠

إذا كانت هذه منزلة العلم فو كتاب الله عز وجل فلا شك أن السنة الشريفة قد سارت على نفس المنهج في الإشادة به والحث علي طلبه ، فمن قرأ مصنفات العلماء مثل كتاب " جامع بيان العلم وفضله ، و ما ينبغي فى روايته وحمله " للإمام المحدث أبى عمرو بن عبد البر القرطبي الأندلسي المتوفى (٤٦٣) ، من قرأ هذا الكتاب وما جمع فيه من أحاديث لانكشف له كم كانت عناية النبي صلى الله عليه وسلم بالعلم والتعليم وبيان مكانه العلماء ٠

كما لا يخلوا في الغالب مصنف في السنة النبوية الشريفة مما صنف على الأبواب من كتاب جمع فيه مصنفه أبوابا في العلم ضمت طائفة من الأقوال الشريفة ، وأيضا من استقرأ مسانيد العلماء واجزائهم ومعاجمهم وضع يده على بحر زاخر من أحاديث العلم ٠

ومن اجل ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في بيان منزلة العلماء والفقه في العلم قوله صلى الله عليه وسلم " من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ٠٠٠ " ١ الحديث ٠

والحديث ظاهر في بيان فضل العلماء على جميع الناس ، وفضل التفقه في الشريعة على سائر العلوم ، اخرج البخاري في باب الاغتباط بالعلم والحكمة قول النبي صلى الله عليه وسلم " لاحسد الافى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها " ٢ ٠

واخرج مسلم بسنده في باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ماكان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطا به عمله لم يسرع به نسبه " ٣ ٠

واخرج مسلم حديثا جامعا في العلم وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " من دل على خير فله مثل اجر صاحبه " ٤ ٠

قال النووي في معنى هذا الحديث : فيه فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله ، وفيه فضيلة تعليم العلم ، ووظائف العبادات لاسيما لمن يعمل بها من المتعبدين وغيرهم ٠ ٥

١- أخرجه البخاري / كتاب العلم / باب من يرد الله به خيرا يفقه في الدين / ج ١ ص ١٧٣ – ١٧٤ (الفتح) ٠
٢- أخرجه البخاري / كتاب العلم / باب الاغتباط في العلم والحكمة / ج١ ص ١٧٦ – ١٧٧
٣- أخرجه مسلم / كتاب الذكر / باب فضل الاجتماع على تلاوة القران / ج ١٧ ص ٢١ –٢٢ (النووي) ٠
٤- أخرجه مسلم / كتاب الامارة / باب فضل اعانة الغازى ٠٠٠ / ج ١٣ ص ٣٨ – ٣٩ ٠
٥- شرح صحيح مسلم للنووى ج١٢ ص ٣٩ ٠

واخرج البغوى " في مصابيح السنة " في قسم الحسان عن أبى الدر داء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة ، وان الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم ، وان العلم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض ، والحيتان في جوف الماء ، وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وان العلماء ورثة الأنبياء ، وان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، وانما ورثوا العلم ، فمن أخذه اخذ بحظ وافر ٠ ١

إذن فالعلم من أهم أركان الشريعة الإسلامية ، فمن تدبر آيات الذكر الحكيم ، وسنة سيد المرسلين لأيقن بالأدلة القاطعة بطلان قول من زعم أن الإسلام كان حربا على حرية الفكر ، وانه كبت جميع الحركات العلمية ، وكان الفرنسي (أرنست رينان) ابرز دعاة الاربيين لهذه التهمة بما كتبه في كتابه (الإسلام والعلم) ٢ ٠

فإذا كان الغرب يمجد المنهج العلمي فالإسلام أول من وضع المنهج العلمي ، واول من اخذ به هم علماء السنة الشريفة ، وعلم الجرح والتعديل مازال قائما إلى الآن يحاجهم دون مغالطة أو مواربة ٠

والإسلام دين الحجة والبرهان ، واليقين لا الظن قال تعالى في غير موضع " قل هاتوا برهانكم أن كنتم صادقين " ٣ وقال " إن الظن لا يغنى من الحق شيئا "٤

ويطلب النبي صلى الله عليه وسلم اليقين في أحكامه ، فعن انس رضى الله عنه أن يهوديا رض راس جارية بين حجرين فقيل لها: من فعل بك هذا ؟ أفلان ؟ حتى إذا سمى اليهودي فأومأت برأسها فجئ باليهودي فاعترف فامر به النبي صلى الله عليه وسلم فرض رأسه بالحجارة ٠ ٥ والاعتراف سيد الأدلة ٠

واخرج مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" إياكم والظن فان الظن اكذب الحديث ٠٠٠ " ٦ ، ففي هذا الحديث نهى عن بناء الحكم على مجرد الظن من غير بناء على اصل ولانظر واستدلال ٠ ٧

وحوار النبي صلى الله عليه وسلم ماعز بن مالك والغامدية ٨ في اعترافهما بجريمة الزنا لهو من الأدلة على الآخذ باليقين ، خشية أن يكون دافع الاعتراف هو السكر أو الجنون أو ما شابه ذلك ، مما قد يؤثر في التصرفات ٠

١- كتاب العلم / باب / ج١ ص١٧٠ ٠
٢- راجع " روح الدين الإسلامي " أ٠ عفيف عبد الفتاح طبارة ص ٢٦٦
- والحديث أخرجه أبو داود / كتاب العلم / باب الحث على طلب العلم / ج ٤ ص ٥٧
- واخرجه الترمزى / كتاب العلم / باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة / ج٥ ص ٤٨ ـ ٤٩ ٠
- واخرجه في المقدمة / باب فضل العلماء والحث على طلب العلم / ج١ ص ٨١
- واخرجه احمد / ج ٥ ص ١٩٨ ٠
٣- سورة البقرة (١١١) ٠
٤- سورة يونس (٣٦) ٠
٥- أخرجه البخاري / كتاب الديات / باب إذا قر بالقتل مرة / ج ١٢ ص ٢١٣ ٠
٦- كتاب البر والصلة / باب تحريم الظن والتجسس ٠٠٠ / ج ١٦ ص ١١٨ جزء حديث ٠
٧- راجع " شرح صحيح مسلم للنووي " ج ١٦ ص ١١٩ ٠
٨- أخرجه مسلم / كتاب الحدود / باب حد الزنا / ج ١١ ص ١٩٩ ـ٢٠٣ ٠

لإظهار قيمة التكافل العلمي وأهميته ، وشدة الحاجة أليه ، كان ضروريا أن يتقدم الكلام عليه بيان منزلة العلم في الإسلام من خلال الاصلين الشريفين – كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم –

إضافة إلى ذلك الإشارة إلى أن النهضة العلمية والحضارية ينبغي أن تنبثق من هذين الاصلين الكريمين ، لاسيما وان الأمة تموج بتيارات فكرية متلاطمة ، لا تتوقف عند حد ، ولا يتخذ بعضها من الشريعة إطارا يتحرك داخله دون الخروج عنه ، وليس في ذلك تقييدا للحرية الفكرية ، وانما لكونه مطلوبا شرعيا يتوافق مع الغاية من هذا الوجود ٠

أن الكثير من هذه التيارات لا يراعى حرمات ولا عقيدة ، ولا أخلاق ، فذهب يكتب الكتاب ، ويتكلم المتحدثون في المحافل ، وبعض وسائل الإعلام ، مطلقين العنان ، ناسين أو متناسين أن الله تعالى يكتب ما قدموا وآثارهم ، ويحصى كل شئ في كتاب مبين ٠

لقد وصلت إباحية بعض الكتاب ويدعى " خليل حنا تارس " أن يقول في كتابه " العواطف الجنسية ص٤٨ " أما نظام تعدد الأزواج فقد لاحظ " وستر مارك " انه كان دائما نظاما شاذا ، وان لم يكن قطّ إلا بين الشعوب المنحطة التي تتمتع بقسط ضئيل من الثقافة الإنسانية ٠

ثم يعلق على ذلك الكاتب – خليل – بقوله ص ٤٩ : أما تعدد الأزواج فمخالف لسنن الطبيعة ، ومستلزمات التناسل ، ووجوده فأي بيئة علامة على التدهور والانحطاط ٠ ١

وهذا الكاتب غير جاهل بان التعدد من نظم الشريعة الإسلامية حيث يقول ص٤٢ :

" إذ قد يكون السبب فيه أحيانا تقاليد دينية كما هو الحال في الدين الإسلامي ، ثم يمجد الوحدانية في الزواج" ٠

فهذا نوع من الثقافة تطرح مؤلفاته في الأسواق في أيامنا دون حياء أو تحرج ! !! فأي علم وثقافة هذه التي تنشا عليها أجيال المستقبل ؟ وهل هذه الثقافة مظهرا من مظاهر التكافل العلمي الذي يرقى بالأجيال والأمم ؟ أن فوضى الثقافة والسلوك والدعوة إلي الانحلال والإباحية لأياتي بخير فهل عرف الكاتب لم أباح الله تعالى تعدد الزوجات ؟ وفي أي إطار يكون هذا التعدد ؟

ومن الخطوب الفادحة أن يخرج أحد أساتذة الجامعات المدنية ٢ علينا علماني المذهب في مجتمع إسلامي ، انه يطالب بتعديل بعض نصوص الشريعة ومساواة المراة بالرجل فى كل شيء حتى الميراث ، ثم انكر الحجاب واباح تبرج المراة وإبداء زينتها ، ثم طالب بتفسير علماني جديد للدين ٣ ٠

هل معنى حرية الفكر أن تصل الجراة إلى هذا الحد ! وهو تعطيل حكما شرعيا كالميراث نزل من عند العزيز الحكيم ؟ وهل هذا هو المراد بالعلم والتكافل العلمي ؟ أن العلم لو اتخذ من الاصلين الشريفين منهجا لكان له شان آخر أعلى واعظم ٠

١- راجع " العواطف الجنسية " لمؤلفه سالف الذكر – مكتبة الأندلس – محطة التعاون بالهرم ، الطبعة الخامسة ٠

٢- هو د٠ نصر ابو زيد بقسم اللغة العربية بجامعة القاهرة ٠

٣- (اللواء الاسلامى) عدد ٦٩٠ السنة الخمسة عشر ٠ الخميس ١٢ ذو القعدة ١٤١٥ – ١٣ ابريل ١٩٩٥م ٠

أن السنة الشريفة ـ بعد كتاب الله عز وجل ـ تحترم علوم الكون والاجتماع ، كما تشجع الآيات القرآنية على فتح مغاليقها والتفقه فيها من خلال الاعتزاز بالله تعالى ، والتفكير في بديع صنعه ليزدادوا أيمانا مع أيمانهم ، وبهذه النية يعطى العلم خير ثماره ٠

فمن الجوانب المشرقة في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم اهتمامه بالعلم اهتماما منقطع النظير ، فمن نظر إلي هذا الجانب من الرسالة المحمدية علم تمتم العلم انه بعث معلما ، فان كان العلم- كما يقول الناس ـ نور ، فان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه الله تعالى ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ويمكن من خلال دراسة الجانب العلمي في السنة الشريفة والتكافل فيـــــه، استنباط طائفة من الأساليب التي تبعها النبي صلى الله عليه وسلم في تعليم أمته نذكرها فيمايلى :

أولا : لما كانت الأمية سائدة في صدر الإسلام ، وحتى يصل لنبي صلى الله عليه وسلم إلى نتائج سريعة لإزالة هذه الأمية بين المسلمين لا يتوقف عند تعليم المسلم للمسلم وانما يتحين فرصة يجدها في أسرى بدر عند طائفة ممن لديهم علم بالقراءة والكتابة فيجعل فداء الأسير منهم تعليم عشر من المسلمين وابنائهم ٠ ١

وهذا الموقف النبوي الشريف يظهر ضرورة تكافل ولاة الأمر في القضاء على الأمية واتباع الأساليب المناسبة في ذلك ٠

ثانيا : كان من أساليب النبي صلى الله عليه وسلم التشجيع على طلب العلم ، وهذا الأسلوب في الدعوة إلي التعلم مستمد من فهم النبوة لاول ما نزل من الذكر الحكيم من قوله تعالى " اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق أقرا وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم ٠ ٢

وبالرغم مما كان يوجد في مجتمعه من معارف أخذت عن طريق المشافهة ، وما كان يوجد من حافظة قوية ، ووعى دقيق ، وحسن أدراك ، إلا أن الآيات أشارت إلى أهمية القراءة والكتابة بالقلم ٠ وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة فقال " طلب العلم فريضة على كل مسلم " ٣ وفى هذا بلوغ الذروة في الحث على طلب العلم ، وكفالة العالم بتعليم طلابه٠

١- انظر " نور اليقين في سيرة سيد المرسلين " لفضيلة الشيخ محمد الخضري ص١٤٢ ط دار الجيل ٠

٢- سورة العلق (١-٥) ٠

٣- أخرجه ابن ماجة في المقدمة / باب فضل العلماء والحث على طلب العلم / ج١ ص ٨١ ٠ وفى الزوائد : إسناده ضعيف ، لضعف حفص بن سليمان ، وقال السيوطى : : سئل الشيخ محى الدين النووي رحمه الله تعالى عن هذا الحديث فقال : انه ضعيف أي سندا ، وان كان صحيحا أي معنى ، وقال تلميذه جمال الدين المزي : هذا الحديث روى من طريق تبلغ رتبة الحسن ، وهو كما قال : فأنى رأيت له خمسين طريقا جمعتها في جزء ٠٠١ كلام السيوطي انظر ابن ماجة بتحقيق فضيلة الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي ج١ ص ٨١

واخرج البغوى " في مصابيح السنة " في قسم الحسان / كتاب العلم / باب / ج ١ ص ١٧٢ ٠

ورواه ابن عبد البر من طرق متعددة في كتاب " جامع بيان العلم وفضله " / ج١ ص ٧-١٠ ٠

ومما ذكره : أن الحديث في وجوب طلب العلم في أسانيد مقال لاهل العلم بالنقل ، ولكن معناه صحيح عندهم ، وان كانوا قد اختلفوا فيه اختلافا متقاربا ج١ ص١٠ ٠

ومن خلال أقوال العلماء في تضعيف حفص بن سليمان نجد قول وكيع كان ثقة اخرج النسائي حديثه في مسند على متابعة ، وقول احمد بن حنبل مرة ما به باس " تهذيب التهذيب " لابن حجر ج٢ ص ٤٠٠ ، ٤٠١ ٠

ثالثا : ومن اساليب التربيةالنبوية في مجال العلم أن لكل فعل نتيجة ، والنتائج مصحوبة بأسبابها ، وعلى قدر منزلة الإنسان في الفهم والعلم تكون صحة النتائج ، ويدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم " من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين " ١ ، ففهم أي مسالة يعنى معرفة أسبابها ، وما يترتب على هذه الأسباب من نتائج ، ففي مجال الصحة العامة روى خالد بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" غطوا الإناء واوكؤا السقاء ،فان في السنة ليلة ينزل فيها وباء ، لايمر باناءس ليس عليه غطاء او سقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء "٢ .

قال ابن القيم : وهذا مما لا تناله علوم الأطباء ، ومعارفهم ، وقد عرفه من عرفه من عقلاء الناس بالتجربة ٣ ، أن هذا يحتمل في عصرنا مايزكر من تكاثر جراثيم معينة في أوقات معينة ذات مناخ معين ، يكون لها آثارها على الإنسان ، فالمنهج النبوي قائم على أسس واقعية .

رابعا : ومن أساليب التكافل العلمي والحث على نشره وطلبه ، أخبار النبي صلى اله عليه وسلم انه من جملة الطاعات لله رب العالمين ، فيقول صلى الله عليه وسلم " ما من رجل يسلك طريقا يطلب فيه علما ، الأسهل الله له به طريقا إلى الجنة ... " ٤ الحديث

ويظهر التكافل واضحا فيما اخرجه –أيضا- أبو داود بسنده عن سهل – يعنى ابن سعد – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : والله لان يهدى بهداك رجل واحد خير لك من حمر النعم "٥

واخرج أيضا عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نضر الله أمرا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه ، فرب حامل فقه إلى من هو افقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه " ٦

وحث العلماء على بذل العلم لانه رحم بين أهله ،متواصل بين العصور يأخذ الخلف عن السلف اخرج أبو داود بسنده عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم ٧

فهذا الحديث اصل من أصول التكافل العلمي بين الأجيال وفي قوله صلى الله عليه وسلم عموم ليس قاصرا على جانب الفقه في الدين وانما الأداء والتحمل لكل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم ،

= وعلى هذا فالحديث أن كان ضعيفا تبعا لاقوال بعض العلماء إلا أن ضعفه ليس بساقط لصحة معناه كما قال النووي ، وحكم المزي عليه بالحسن ، وذكره البغوى في الحسان ، وتوثيق النسائي له واخراجه عنده متابعة .
اضف إلي ذلك أن الحديث الضعيف ليس ساقطا في كل الأحوال ، فانه يعمل به في فضائل الأعمال ، وقد استوفى شرط ذلك ،فانه يندرج تحت الأيات القرانية ، وما ورد في فضل العلم والحث على طلبه في الأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة . والله اعلم .

١- سبق تخريجه .
٢- أخرجه مسلم / كتاب الا شربه / باب استحباب تغطية الإناء / ج١٣ ص ١٨٦ (النووي)
٣- " الطب النبوي " لابن القيم الجورية ص ٢٦٤ . ط العلوم – لبنان .
٤- أخرجه أبو داود / كتاب العلم / باب الحث على طلب العلم / ج٣ ص ٣١٧ .
٥- المصدر السابق / باب فضل نشر العلم / جزء ٣ ص ٣٢٢ .
٦- المصدر السابق ج ٣ ص٣٢٢ .
٧- اخرجه أبو داود / كتاب العلم / باب فضل نشر العلم / ج٣ ص ٣٢٢ .

ويؤخذ هذا المعنى أيضا من دلالات النصوص السابقة ، ففي قوله صلى الله عليه وسلم المتقدم (من سلك طريقا يلتمس فيه علما " فلم يقيد هذا العلم بفرع خاص فطرق العلم متشعبة ، ومتنوعة بما يمكن معه إدراج العلوم الكونية والاجتماعية والمادية .

فان كان من العلم ما هو فرض متعين لا يسع المسلم جهله نحو أركان الإيمان والإسلام فان غيره فرض على الكفاية وهو كل علم تحتاجه الأمة في أمر دنياها ، ورقيها بين غيرها من الأمم ، لتقوى به شوكتها ، وتمتنع به عمن أرادها بسوء ، واهم قواعد أسس الأبحاث الكونية ضرورة انطلاقها من إخلاص النية لله تعالى ، وعن العلوم الكونية ونتائجها أسمى مقاصدها يقول الله تعالى (ألم ترى أن الله انزل من السماء ماء أخرجنا به ثمرات مختلف ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخش الله من عباده العلماء أن الله عزيز غفور) ١

فمن تفكر واكتشف مافي الكون الله تعالى ازداد يقينه بالله تعالى ، واطمئن قلبه وخشعت جوارحه ، وعلى هذا يكون الباحث قد أفاد خير الدنيا بما وصل إليه من كشف ، وخير الآخرة بما وصل إليه من يقين إيماني ، وهذه هي القيمة السامية للبحث العلمي في الإسلام .

فالسنة وان جعلت الفقه الديني في صدارة العلوم ألا أنها دعت كل من لديه علم أن يعلمه غيره على جهة التكافل ، قال صلى الله عليه وسلم " من دل على خير فله مثل اجر فاعله " ٢

فيندرج في الاطلاق علوم الدنيا .

خامسا : ومن أساليب التربية النبوية في التكافل انه مزج بين سلوكيات المرء في دنياه ، ومتطلبات اللقاء الإلهي الذي لامحيص عنه ، قال صلى الله عليه وسلم :" من طلب العلم ليجارى به العلماء ، أو ليمارى به السفهاء ، او يصرف به وجوه الناس إليه ادخله الله النار ٣

وكذلك حذر النبي صلى الله عليه وسلم العلماء من كتم العلوم التي وهبهم الله تعالى إياها ، فينعى عاقبة هؤلاء بقوله صلى الله عليه وسلم :" من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة " ٤

سادسا : ومن أوضح دلائل التكافل العلمي في السنة الشريفة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقصر العلم على فئة معينة من الناس ، فان الجميع عنده سواسية ، كما قال تعالى " يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساؤلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا " ٥

وروى علقمة بن سعد بن عبد الرحمن بن ابزى عن أبيه عن جده قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فاثنى على طوائف من المسلمين خيرا ثم قال : ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ، ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ، ولا يأمرونهم ، ولا ينهونهم ، وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ، ولا يتفقهون ، ولا يتعظون ، والله لا يعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ، ويعظونهم ، أو لاعجلنهم العقوبة ، ثم نزل فقال قوم : من ترونه عنى بهؤلاء؟

١- سورة فاطر (٢٧- ٢٨) .
٢- أخرجه مسلم / كتاب الأمارة / باب فضل إعانة الغازي / ج ١٣ ص ٣٨ ، ٣٩ . (النووي) .
٣- أخرجه الترمذى / كتاب العلم / باب ما جاء فيمن طلب بعلمه الدنيا / ج ٥ ص٣٣
٤- أخرجه ابو داود / كتاب العلم باب كراهية منع العلم / ج٣ ص٣٢١ .
٥- سرة النساء (١)

قال : الاشعريون هم قوم فقهاء ولهم جيران جفاه من أهل المياه والأعراب ، فبلغ ذلك ألا شعريين فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا :يا رسول الله ذكرت قوم بخير وذكرتنا بشر فما بالنا ؟ فقال : ليعلمن قوم جيرانهم وليفقهنهم وليعظنهم وليأمرنهم ، ولينهونهم ، وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفطنون ويتفقهوا أو لاعالجنهم العقوبة في الدنيا فقالوا : يا رسول الله انفطن غيرنا ، فاعاد قوله عليهم ، واعادوا قولهم انفطن غيرنا فقال ذلك أيضا ، فقالوا : أمهلنا سنة ليفقهونهم ويعلمونهم ويفطنونهم ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية " لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ... " الآية ١

وحتى لا يصبح العلم حكرا على مكان كان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث بعلماء الصحابة وفقهائهم إلى الجهات المختلفة ، وبدا ذلك منذ أن كان في مكة فقد أرسل إلى المدينة بعد بيعة العقبة الثانية الصحابي الجليل مصعب بن عمير وأمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين وان يؤمهم في الصلاة وكان يسمى في المدينة(المقرئ) أو(القارئ) ٢ وارسل الكثير بعد الهجرة إلى القبائل خارج المدينة ، والى اليمن .

ولما لم يكن العلم خاص بالرجال ، فقد خصص النبي صلى الله عليه وسلم يوما للنساء يخلوا بهن فيعلمهن ويجيبهن عن أمور دينهن ، بروح طيبة ، ونفس رضية ، وصدر رحب ،

قال الحافظ ابن حجر :(قوله باب عظة الأمام النساء وتعلمهن) نبه - أي البخاري- بهذه الترجمة علي أن ما سبق من الندب إلى تعليم الأهل ليس مختصا بأهلهن بل ذلك مندوب. الأمام الأعظم ومن ينوب عنه ٣ .

اخرج الباري بسنده عن أبي سعيد الخدري قال : قال النساء للنبي صلي الله عليه السلام غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك ، فوعدهن يوما لقيهن فيه فوعظهن وامرهن ...)٤ الحديث .

أذن فأسلوب النبي صلي الله عليه وسلم في التكافل العلمي لم يقتصر علي طبقة دون طبيعة أو علي الرجال دون النساء فان منهجه كان حكيما ، ويلاحظ أن النبي صلي الله عليه وسلم قد خلا بالنساء يوما دون الرجال مما يدعو إلى أفضلية عدم اختلاط الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال ولوفي مجال التعليم دون داع لذلك فأمرهن مبني علي الستر .

١-
٢- راجع " السيرة النبوية "أ .د / محمد محمد أبو شهبة صـ ٤٥٨ .
٣- " فتح الباري" ج١ ص ٢٠٢ .
٤- اخرجه البخاري/ كتاب العلم/ باب هل يجعل للنساء يوما علي حدة في العلم/ ج١ ص ٢٠٦ "ابن حجر" .

الصحابة رضوان الله عليهم والخلف من التابعين يتكافلون في نشر العلم :

يتبع الصحابة رضي الله تعالي عنهم النبي صلي الله عليه وسلم في نشر العلم ، فانطلقوا في الآفاق يعلمون القاصي والداني دون كلل أو ملل فخرجوا علي أيديهم أمة لم تعرف الدنيا في عصرهم مثلها في الأيمان والعلم والعمل .

فكان يقول الواحد منهم سلوني ١، ويقول سعيد بن جبير " أن مما يهمني أني وددت إن الناس قد اخذوا ما معي من علم"٢ .

ويقول سفيان الثوري من التابعين " والله لو لم يأتوني لأتيتهم في بيوتهم . " يعني أصحاب الحديث . ويقول الربيع بن سليمان قال لي الشافعي : " يا ربيع لو قدرت إن أطعمك العلم لأطعمتك إياه . وقال الخاقاني:

ألا فاحفظوا وصفي لكم ما اختصرته ... ليدريه من لم يكن منكم يدري
ففي شربة لو كان علمي سقيتكم ... ولم أخف عنكم ذاك العلم بالدخل .

وقال عبد الملك بن مروان في خطبته يوم الفطر : أن العلم يقبض قبضا سريعا ، فمن كان عنده علم فلينشره غير خاف عنه ولا غال فيه ٣ .

المسلمون ونشر العلم والاستفادة من علوم الآخرين :

عندما انطلق المسلمون ينشرون دين الله تعالي في أرضه ، كان لهم قصب السبق في هذا من بين الفاتحين ، لقد تجاوزوا كل حد في نشر الخير والهدي بين الناس علي جهة التكافل البشري . وفي ذات الوقت يأخذون ما وجدوه من العلوم والصناعات ، انهم لم يرتكبوا ما صنعه التتار حين افسدوا ثقافات الأمم في كل دار نزلوه.

فقد حافظ المسلمون علي مصادر العلوم عند غيرهم ، فاستأجروا العارفين بلغة غيرهم واغدقوا عليهم من الأموال ما يحثهم علي بذل غاية الجهد في ترجمة هذه المصادر إلى العربية.

واتبعوا ذلك بالاطلاع عليها ودراستها دراسة دقيقة مراعين في ذلك الإطار الإسلامي ، وتعمقوا ووصلوا إلى الكثير من المستكشفات العلمية التي لم يصل إليها غيرهم من الأمم فبرز ابن الهيثم في البصريات، والخوارزمي في الرياضيات ، وابن سينا في الطب، والفرابي في العقليات وغيرهم، فاصبح المسلمون بعد ذلك محط رحال طلاب العلم ٤ .

ونري ذلك فيما يأتي من كلام بعض المؤرخين.

شهادة مؤرخي أوربا بتكافل المسلمين في نشر العلم:

يقول "دربيبر" المدرس في جامعة نيويورك في كتابه " المنازعة بين العلم والدين" " أن اشتغال المسلمين بالعلم يتصل بأول عهدهم باحتلال الإسكندرية – بحسب تعبيره- سنة (٦٣٨) أي بعد موت محمد بست سنين ولم يمض عليهم بعد ذلك قرنان حتى استأنسوا بجميع الكتب العلمية اليونانية وقدروها قدرها الصحيح ، ولما آلت الخلافة إلى المأمون سنة ٨١٣ م صارت بغداد العاصمة العلمية العظمي في الأرض فجمع إليها الخليفة كتبا لا تحصي وقرب إليه العلماء وبالغ في الحفاوة بهم.

١- راجع "جامع بيان العلم وفضله" ج١ ص ١١٥،١١٤ .
٢- المصدر السابق ج١ ص ١١٦ .
٣- راجع هذه الآثار في المصدر السابق ج١ ص ١٢٣، ١٢٤ .
٤- راجع "تاريخ العلوم عند العرب " د. علي عبد الله الدفاع . ط وزارة المعارف السعودية. ط ١٤٠٣_ ١٩٨٣ م .

وبعد إن عدد مآثرهم في العلوم الطبيعية قال: لو أردنا أن نستقصي كل آثار هذه الحركة العلمية العظمي لخرجنا عن حدود هذا الكتاب ، فانهم قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا ، واوجدوا علوما جديدة لم تكن معروفة قبلهم " ٠

ويقول في مواطن أخرى: " إن جامعات المسلمين كانت مفتوحة للطلبة الأوربيين الذين نزحوا إليها من بلادهم لطلب العلم ، وكان ملوك أوربا يغدون علي بلاد المسلمين ليعالجوا فيها"٠

ويقول" سريو" : في كتابه "تاريخ العرب" :"كان المسلمون في القرون الوسطي متفردين في العلم والفلسفة والفنون ، وقد نشروها أينما حلت أقدامهم ، وتسربت عنهم إلى أوربا فكانوا هم سببا لنهضتها وارتقائها " ٠

ويعبر عن ذلك د٠ "جوستاف ليبون" في كتابه " حضارة العرب" بقوله : " ولا نري أمة في التاريخ ذات تأثير بارز كالعرب فجميع الأمم التي كانت ذات صلة بالعرب اعتنقت حضارتهم، ولو حينا من الزمن ٠ ويقول: ولم يتجلي تأثير العرب في الشرق في الديانة واللغة والفنون وحدها بل كان لهم الأثر البالغ في ثقافته العلمية أيضا ، وقد نقل العرب إلى الهند والصين أثناء صلاتهم بهما قسما كبيرا من معارفهم العلمية التي عدها الأوربيون علي غير حق من اصل هندي أو صيني وفي نفس المجال يقول (أ٠ليبري) :" لو لم يظهر العرب علي مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوربا الحديثة عدة قرون ويقول : وقد كانت ترجمات العرب العلمية المصدر الوحيد للتدريس في جامعات أوربا نحو ستة قرون ، ويمكننا أن نقول : أن تأثير العرب في بعض العلوم كعلم الطب مثلا دام إلى الزمن الحاضر فقد شرحت كتب ابن سينا في " مونبيليه" في أواخر القرن الماضي [١]

<u>دلالة هذه النصوص:</u>

لما بدا النبي صلي الله عليه وسلم بنشر العلم وتبليغ الرسالة، وأداء الأمانة ونصح الآمة ، صار المسلمون علي نهجه واقتدوا به صلي الله عليه وسلم فيما بينهم علي التكافل في نشر العلم ، ولم يجعلوا ذلك قاصرا علي أفراد الآمة الإسلامية ومنعوه غيرهم ، بل نجد من خلال هذه النصوص لعلماء غير مسلمين دلائل واضحة علي إن العلم عند المسلمين حق لكل طالب له سواء تبع ملتهم أو خالفهم فيها ، ولذلك كان لهم هذا الأثر البالغ في العلم من شرق البلاد لغربها، ومن شمالها إلى جنوبها ٠

<u>الخلاصة:</u>

من خلال ما تقدم يتبين لنا إن النبي صلي الله عليه وسلم دعا إلى التكافل العلمي ، وان شريعته لم تتوقف عند نوع واحد من العلم وان المنهج العلمي الذي يحرص عليه العالم في عصرنا إنما هو قائم على التدبر فى ظواهر الكون الإلهي الذي هو شرع نبيه صلى الله عليه وسلم ٠

١- راجع هذه الأقوال فى كتاب " روح الدين الإسلامي " أ عفيف طبارة / ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩ بتصرف ٠

وجمع ابن القيم الجوزية في كتابه " الطب النبوي " طائفة غير قليلة من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم في مجال الأمراض البدنية والنفسية ، والتداوي منها ، مما يرشد إلى انه صلى الله عليه وسلم كان يوجه بذلك أنظار أصحابه إلى الإفادة مما سخره الله تعالى لعباد في أرضه قال تعالى " وسخر لكم ما في الأرض جميعا "١

فهل يمكن أن يتكافل المسلمون في عصرنا لبعث روح العلم النافع في النفوس لا لمجرد محو أمية أو الحصول على شهادات ؟ وها لنا أن نتكافل علميا ونتكاتف لدحض التيارات الثقافية المنحرفة عن الدين السمح والتي تدعو إلى المادية البحتة ؟

نكون بذلك قد اطعنا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وعلى شبابنا إن يمتلئ قلبه بشعلة الحماس في طلب العلم النافع الذي يرقى بالإسلام والمسلمين ، يقول صلى الله عليه وسلم " يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين " ٢

هذا والكلام موجه إلى طلاب العلم جميعا وفى كل فروعه لانهم اتباع النبي صلى الله عليه وسلم ، والله اعلم .

١- سورة

٢- أخرجه البغوى في قسم الحسان من كتاب " مصابيح السنة " / كتاب العلم / باب / ج ١ ص ١٧٩ . وهذا الحديث أرسله إبراهيم بن عبد الرحمن العذري قال الذهبي : تابعي مقل ما علمته واهيا أرسل حديث هذا العلم ... انظر ميزان الاعتدال ج ١ ص ٤٥ .

وقال جمال الدين القاسمي : بعد ذكر الحديث متصلا من رواية أسامة بن زيد : ورواه من الصحابة غير واحد ، أخرجه ابن عدى ، والدار قطني ، وابونعيم وتعدد طرقه يقضى بحسنه كما جزم به العلاءى . انظر (قواعد التحديث) ص ٤٨- ٤٩

المبحث الخامس
التكافل الدفاعي والجنائي بين المسلمين

اخرج أبو داود بسنده عن قيس بن عباد قال : انطلقت أنا والاشتر إلى على عليه السلام ، فقلنا : هل عهد إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يعهده إلى الناس عامة ؟
قال : لا ، إلا ما في كتابي هذا ، قال مسدد : قال : فاخرج كتابا ، وقال احمد : كتابا من قراب سيفه ، فإذا فيه : " المؤمنون تكافأ دمائهم وهم يد على من سواهم ، يسعى بذمتهم أدناهم ، إلا لا يقتل مؤمن بكافر ، ولا ذو عهد في عهده ، فمن احدث حدثا فعلى نفسه ، ومن احدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين " ١
ما اعظم جوامع كلم النبي صلى الله عليه وسلم ، وما أروع قوله ، وما ابلغ بيانه ، فالاخوة الإيمانية هي اصدق تعبير عن الوحدة المشتركة بينهم " المؤمنون تكافأ دمائهم وهم يد على من سواهم " ٢ ، فلا جنسية ولا عنصرية ، ولا قومية ، مما ألف البشر في أيامهم وبلادهم ، فقد قرر القرآن الكريم ذلك ببقوله " إنما المؤمنون اخوة " ٢
وقرر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بوضوح تام حين ينهى عن أمور ينبغي ألا تكون هي أو أسبابها بين الاخوة ، اخرج مسلم بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تحاسدوا ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولاتدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله أخوانا ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ، ولا يحقره التقوى هاهنا ، ويشير إلى صدره – ثلاث مرات – بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه " ٣
فالا عانة والنصر والاتحاد والتعاون ، وصلاح ذات البين ، قائم على الاخوة الإسلامية ، لاعتبارات ندائية ممقوتة ، إنها مبادئ ومثل عليا مستقاة من معنى الأيمان لله رب العالمين ٠
فالتكافل بينهم طبيعي يتحقق تلقائيا ، بمجرد الأيمان بالله تعالى الذي يستتبعه جميع آثاره ٤
قال تعالى " هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم " ٥
وفى قوله صلى الله عليه وسلم " المؤمنون تكافأ دمائهم " دليل المساواة التامة بينهم ، فهم عباد الله وهو خالقهم واليه يحشرون ، لا فرق بينهم إلا بالتقوى ، وحسن العمل ، ومن مقتضيات هذه القاعدة : المساواة في الحقوق والواجبات ،وبمعنى العصر فكل مواطن له حقه السياسي ، والمراقبة والنصح لأولياء الأمور ، لأنه مسؤول عن مستقبل الأمة ، والمجتمع متكافل في تأييد السياسة الرشيدة ، ومعاونة أولياء الأمور في إنكار الفساد والانحراف ٠٦
فالنبي صلى الله عليه وسلم نبه إلى هذا التكافل (التكافل السياسي) وقصده باوجز الكلمات وهى (النصيحة)

١- أخرجه أبو داود / كتاب الديات / باب أيقاد المسل بالكافر / ج ٤ ص ١٨٠ – ١٨١ ٠
- واخرجه النسائي / كتاب القسامة / باب سقوط القود من المسلم للكافر / ج ٨ ص ٢٤ ٠
- أخرجه احمد / ج ١ ص ١٢٢ ٠
٢- سورة الحجرات (١٠) ٠
٣- أخرجه مسلم / كتاب البر والصلة / باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره / ج ١٦ ص ١٢٠ – ١٢١ (النووي) ٠
٤- راجع " الإسلام عقيد وشريعة " للأمام الأكبر محمود شلتوت ص٣٣ – ٣٥ بتصرف ٠
٥- سورة الأنفال (٦٢ – ٦٣) ٠
٦- راجع " اشيراكية الإسلام " أ٠د٠ مصطفى السباعي ص ١٧٩ ٠

فعن تميم الدارى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الدين النصيحة ، قالنا لمن ؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم ٠ ١

ومن انفس كلام العلماء في معنى هذا الحديث : أن النصيحة لائمة المسلمين معاونتهم على الحق وطاعتهم فيه ، وأمرهم به ، وتنبيههم ، وتذكيرهم برفق ولطف وأعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين ، وترك الخروج عليهم ، وتأليف قلوب النضياس لطاعتهم ، قال الحطابى : ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم ، والجهاد معهم ، وأداء الصدقات إليهم ، وترك الخروج بالسيف عليهم ، إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة ، وإلا يغروا بالثناء والكاذب عليهم ، وان يدعى لهم بالصلاح وهذا كله على إن المراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولايات وهذا هو المشهور" ٢

مما تقدم يتبن لنا مقتضى التكافل الدفاعي والجنائي بين المسلمين ، فما المراد بكل منهما ؟ والإجابة عن هذا السؤال فيمايلى :

(أ)- التكافل الدفاعي :

قضي النبي صلي الله عليه وسلم منذ بعثته علي العصبية الجاهلية العمياء ، وفي نفس الوقت لم يخمد روح التناصر بين المسلمين ، ولم يطفئ جذوة الحماس من قلوبهم ، ولم يقضي علي العزة في نفوسهم فالعزة لله ولرسوله والمؤمنين، فقد هذب النبي صلي الله عليه وسلم هذه الطباع، وساسها بحكمة بالغة، حتى وصلت إلى معرفة الحق في ذلك ، فلا تكافل، ولا تناصر في الظلم والبغي والعدوان، إنما التكافل في نصرة الحق، وإعلاء كلمته، روي مسلم بسنده عن جابر قال : اقتتل غلامان غلام من المهاجرين ،وغلام من الأنصار فنادي المهاجر أو المهاجرون يا للمهاجرين ،ونادي الأنصاري ياللانصار فخرج النبي صلي الله عليه وسلم فقال: ما هذا دعوى أهل الجاهلية؟قالوا لا يا رسول الله ألا أن غلامين اقتتلا فكسع٣احداهما الاخر، قال: فلا باس ولينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما، أن كان ظالما فلينهه فانه له نصر، وان كان مظلوما فلينصره٤ وعند البخاري من رواية انس "انصر أخاك ظالما أو مظلوما ،فقال رجل يا رسول الله انصره مظلوما، فكيف انصره ظالما؟ قال تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه ٥ ٠

فهذا مفهوم التناصر في السنة النبوية وكيف فسره النبي صلي الله عليه وسلم ، للسائل عندما وجد أن القول الأول لا يتوافق مع المشاعر الإيمانية، وكان من أساليب الأداء النبوي الشريف٠ أن يلقي ما عنده من أحكام وتوجيهات بأسلوب يدفع السامع للاستفسار حتى يستقر المعني في النفس أيما استقرار ٠

ومظاهر التكافل الدفاعي في السنة المباركة متعددة ، تؤخذ من منطوق بعض نصوصها ،ويؤخذ البعض الآخر من من المفهوم ٠

١-أخرجه مسلم/ كتاب الايمان/ بابا الدين النصيحة/جـ٢ ص ٣٧ (النووي) ٠

٢- "شرح صحيح مسلم" للنووي ج٢ ص٣٧ بتصرف٠

٣- كسع:

٤- أخرجه مسلم/ كتاب البر والصلة/باب نصر الأخ ظالما او مظلوما/ جـ١٦ صـ١٢٧، ١٢٨ ،

٥- أخرجه البخاري/كتاب الإكراه/باب يمين الرجل لصاحبه/ جـ١٢ ص٣٢٣ ٠

ومما ورد عن النبي صلي الله عليه وسلم في التكافل الدفاعي قوله صلي الله عليه وسلم" المؤمنون تكافأ دمائهم يسعي بذمتهم أدناهم وهم يد علي من سواهم"١ ٠
وقوله" المسلم أخو المسلم لا يظلمه،ولا يخذله ولا يحقره" ٢ ، وقوله صلي الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا"٣ ومنه قوله" تري المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد إذا اشتكي منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمي"٤ ٠
أما الدفاع عن الأوطان فانه يستتبع ولاية المسلمين بعضهم بعضا ،قال تعالي: والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض " ٥ ، وهو آمر واجب كما قال تعالي "كتب عليكم القتال وهو كره لكم "٦ وقوله تعالي بصيغة الجمع "انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله " ٧ ، ويحذر من التقاعس في النصرة بقولة"إلا تنفروا يعذبكم عذابا اليما"٨ ٠
والجهاد فرض علي الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الكل علي الرأي الراجح، وبين النبي صلي الله عليه وسلم مكانة الجهاد والمجاهدين وانه لا عدل له فهو افضل الأعمال بعد الأيمان بالله عز وجل ٠ اخرج مسلم بسنده عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلي الله عليه وسلم أي الأعمال افضل قال: إيمان بالله، قال: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله ، قال: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور ٠ وفي رواية محمد بن جعفر أيمان بالله ورسوله ٩ ، واخرج بسنده – أيضا- عن أبى هريرة قال:قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه ألا جهادا في سبيلي، وأيمانا بي وتصديقا برسلي فهو علي ضامن إن ادخله الجنة، أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجرا وغنيمة ،والذي نفسي بيده مامن كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم لونه لون دم،وريحه مسك ، والذي نفس محمد بيده لولا يشق علي المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا، ولكن لا أجد سعة فاحملهم، ولا يجدون سعة، ويشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذي نفس محمد بيده لوددت أنى أغزو في سبيل الله ، فاقتل،ثم أغزو فاقتل، ثم أغزو فاقتل١٠ ٠
انه قول يسري إلى الروح، فتهون عن رضا ومحبة، وتمتلئ بالرغبة إلى هذا المصير ،فهذا القول يرشد إلى فضيلة الجهاد والشهادة في سبيل الله تعالي، وتمني الشهادة، وان الجهاد فرض كفاية وليس فرض عين، فمن اخلص النية إلى الله تعالي عند خروجه، فقصد نشر دين الله تعالي، وإعلاء كلمته والدفاع عن حرمات المسلمين ضد الكفر والبغي، وحماية دين الله

١- سبق تخريجه٠
٢- سبق تخريجه٠
٣- سبق تخريجه٠
٤- سبق تخريجه٠
٥- سورة التوبة(٧١) ٠
٦- سورة البقرة(٢١٦) ٠
٧- سورة التوبة(٤)٠
٨- سورة التوبة(٣٩)٠
٩- أخرجه مسلم / كتاب الأيمان/ باب الأيمان بالله تعالي افضل الأعمال/ ج٢ صـ ٧٢ ٠
١٠- أخرجه مسلم/كتاب الامارة/بابا فضيلة الجهاد/ ج١٣ ص ١٩، ٢٠ ٠

تعالي ،من قصد ذلك نال هذا الثواب المذكور لذا قال صلي الله عليه وسلم" والله اعلم بمن يكلم في سبيله" ٠

ومن مظاهر التكافل الدفاعي:

إعانة المغازي في سبيل الله تعالي فقد اخرج مسلم بسنده عن زيد بن خالد الجهني عن رسول الله صلي الله عليه وسلم انه قال:" ومن جهز غازيا في سبيل الله تعالي فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا"١ ، وهذا ظاهر في تكافل المسلمين الدفاعي بأسلوب رفيع القدر عظيم المعني، ففيه فضيلة من جهز غازيا ٠

ومن مظاهر التكافل الدفاعي الذي يتضمنه الحديث رعاية اسر المحاربين فمن خلف المحارب في أهله وماله بخير كان له نصيبا من الفضل وذلك بقوله صلي الله عليه وسلم" ٠٠٠ ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا" أي حاز اجر من خرج مجاهدا ٠ وهذا التكافل له أثره في نفس المغازي فانه يخرج للجهاد مطمئنا أن الله تعالي لن يضيع أهله بما هيئ لهم من اخوة إسلامية متناصرة متضامنه ٠

ومن مظاهر التكافل الدفاعي : بذل المال علي حد قوله تعالي"أن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم واموالهم بان لهم الجنة"٢ ٠

ومن صور التكافل الدفاعي المادي في عصر النبي صلي الله عليه وسلم:

لقد ترامت الأخبار إلى النبي صلي الله عليه وسلم بإعداد الرومان للقيام بغزوه حاسمة ضد المسلمين، فكان الموقف الذي يواجهه المسلمون شديد الخطورة بالنسبة للرومان الذين جهزوا حينئذ جيشا عرمرما ٠

وزاد من خطورة الموقف أن الزمان كان فصل قيظ شديد ، وكان الناس في عسرة وجدب من البلاء ، وقلة الظهر مع بعد المسافة، كذا ظهور نضج الثمار المترقبة لفك البلاء عنهم،ومحبة المقام في هذا الوقت في ثمارهم وظلالها ٠

ولكن النبي صلي الله عليه وسلم كان ينظر إلى الظروف ، وتطورات الموقف بنظرة ادق واحكم من هذا كله ، فلو ترك الرومان وما ازمعت عليه لكان له أسوأ الأثر علي الدعوة الربانية، وعلي أهلها، فقرر القيام – برغم الظروف- بغزوة فاصلة ضد الرومان ٠

أعلن النبي صلي الله عليه وسلم أن يتجهزوا للقتال، واعلن للناس وجهته علي غير عادته ليتأهبوا أهبة كاملة، وحضهم علي الجهاد، فسارع المسلمون ملبين داعي الجهاد من كل صوب،وتسابقوا إلى أنفاق المال في التجهيز لانفسهم وغيرهم ممن ليس لهم مال ، فكان لعثمان بن عفان رضي الله عنه دور بارز، فقد حول تجارته المتجهة إلى الشام فتصدق بكل ما فيها من ابل واموال"مائتا أوقية" ثم جاء بألف دينار ونثرها في ثوب النبي صلي الله عليه وسلم، فكان رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول"ماضر عثمان ما عمل بعد هذا"وقد بلغ مقدار صدقته تسعمائة بعير ومائة فرس غير النقود ٠

وجاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه (بمائتي أوقيه فضه) وجاء أبو بكر بماله كله كعهده،وجاء عمر بمال كثير ،وجاء العباس بأموال كثيرة أيضا، وتتابع الناس حتى النساء لم يمسكهن شيئا من حليهن ٠

١- سبق تخريجه

٢- سورة التوبة (١١١) ٠

هذا وقد خرجت طائفة من الصحابة يحثون الناس علي التجهيز للخروج، وجماعة تنكر علي المثبطين من أهل النفاق وترد كيدهم ولو بتحريق بيوتهم بأمر النبي صلي الله عليه وسلم ٠ وخرج هذا الجيش بقيادة النبي صلي الله عليه وسلم يحدوه رعاية الله تعالي ما هيئ له من تكافل المسلمين،ونصرتهم لله تعالي ورسوله، حتى التقي في تبوك بالروم في رجب سنة تسعة من الهجرة ، ونصره الله تعالي واصحابه نصرا مؤزرا،وشهد الرومان نهايتهم في هذه الغزوة،وهكذا يكون دائما أثرا لتكافل الجماعي ، نصر وعزة وكرامة"١ ٠

إذن فميراث النبوة الشريفة لامته يدعو إلى التضامن والتناصر بأقصى ما يمكن للمرء أن يبذله وخاصة عند الحاجة لجهده وماله ونفسه للدفاع عن دينه وأهله وارضه٠ والمفهوم الدفاعي في السنة الشريفة لا يعرف حدودا أو فواصل تمنع المسلم من نصرة الأخ المسلم،فقد نصر الله تعالي المرآة المسلمة حين أسرها الروم بقولها"وامعتصماه" فلبي النداء من بغداد حتى فك أسرها ، إن الغاية هي نصرة الله تعالي ، وهذا ما يدفع بالدرجة الأولى إلى التكافل الدفاعي٠

(ب) التكافل الجنائي:

عنت السنة الشريفة بالمحافظة علي الدين والنفس والمال والعقل والنسل أيما عنايته، فهذه الكليات الخمس هي مقومات الحياة الإنسانية ولا سبيل إلى الحياة إلا بها ،والناس حيالها متساويين ، لافرق بين غني وفقير ، فالقوي ضعيف حتى يؤخذ الحق منه، والضعيف قوي حتى يأخذ حقه هذه هي مكانة "النفس البشرية في الشريعة ،فتكريم المرء بصيانتها من الاعتداء عليها ، فكان ذلك في حكم الشرع حراما ، واشار النبي صلي الله عليه وسلم إلى هذا التحريم في الحج وهو المؤتمر الأكبر للمسلمين فقد اخرج ابن خزيمه في صحيحه بسنده عن عمرو قال:سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول في خطبته يوم عرفة في حجة الوداع "اعلموا إن دمائكم بموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا،وكحرمة شهر كم هذا ،وكحرمة بلدكم هذا" ٢ وجعل النبي صلي الله عليه وسلم هذا الاعتداء نوع من الظلم، ونبه إلى السبب في وقوعه وانه الشح اخرج مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله إن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم علي أن يسفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم"٣ ٠

ومع هذا البيان لحرمة دم المسلم ، جعل الله تعالي القصاص لمن تسول إليه نفسه الاعتداء عليها كعلاج ناجع يحفظ علي الإنسان نفسه، وقد يقع الإنسان في هذه الجريمة عن غير قصد منه ، فجعل الله تعالي حكم ذلك تحرير رقبه، ودية مسلمة إلى أهله مواساة لا ولياءه، لفقدهم وليهم٠ قال تعالي: "٠٠٠ ومن قتل مؤمنا خطا فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله " الآية ٤ ٠

واليك مثالين لبيان التكافل في هذا الجانب:

١- قد يقع الإنسان في جريمة القتل الخطأ – كما تقدم- وتلزمه دية القتيل ،وهنا يأتي التوجيه النبوي الشريف بالتكافل بين العاقلة- التي لا تشارك في العمد -

---

١- راجع "البداية والنهاية " لابن كثير جـ٥ صـ٢- ٧ ط دار الفكر العربي/"مختصر سيرة ابن هشام" جـ٢ صـ ٢٠٢، ٢١٣ /" الرحيق المختوم" للشيخ صفي الدين المباركفوري صـ٥٠٨- ٥١٩ ط المكتبة الثقافية٠

٢- أخرجه ابن خزيمة/باب صفة الخطبة يوم عرفة/ج٤ صـ٢٥٠، ٢١٥ ٠ ط المكتب الإسلامي بيروت٠

٣- أخرجه مسلم/كتاب البر والصلة/ باب تحريم الظلم/ ج ١٦ صـ ١٣٤ ٠

٤- سورة النساء (٩٢) ٠

في دفع الدية في جناية وقعت عن غير قصد من الجاني مواساة له، وتعاونا وتخفيفا عنه. فنظرية اشتراك العاقلة في تحمل دية الخطأ ليست من باب و وقوع مسؤليته الجناية علي غير صاحبها ، فظاهر الآية دال علي أن الدية علي العاقل، ولكن اشتراك العاقلة كان إقرار من السنة الشريفة لنظام عربي اقتضاه ما كان بين القبائل من التناصر و التعاون، وهو يستتبع المصالحة بين المسلمين ، تطهيرا للنفوس من الأحقاد والضغائن ١ .

وعاقلة الرجل عشيرته ثم الأقرب فالأقرب من الرجال الأحرار البالغين أولى اليسار منهم يقول ابن عابدين في" الحاشية": وان كان له متناصرون من أهل الديوان والعشيرة. والمحلة والسوق، فالعاقلة أهل الديوان ، ثم العشيرة، ثم أهل المحلة ، والمدار علي التناصر فمتي وجد بطائفة فهم عاقلته والافلا، وان لم يكن للقاتل عاقلة بان كان لقيطا،أو ما يشبههه فالدية في بيت مال المسلمين، وان لم يوجد بيت مال فالدية في ماله٢ .

وحكي ابن قدامة وابن المنذر اتفاق العلماء وإجماعهم في أن دية الخطأ علي العاقلة ٣ .

ودليل ذلك من السنة ما أخرجه البخاري بسنده عن أبى جحيفة قال: سالت عليا رضي الله عنه : هل عندكم شئ ما ليس في القران؟ وقال مرة: ما ليس عند الناس؟ فقال:والذي خلق الحبة وبرا النسمة ما عندنا الاما في القران، إلا فهما يعطي رجل في كتابه ، وما في هذه الصحيفة فقلت : وما في الصحيفة ؟ فقال: العقل وفكاك الاسيري ، وألا يقتل مسلم بكافر ٤

واخرج بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلي الله عليه وسلم : قضي في جنين امرأة من بني لحيان بغرة عبد، أو أمة، ثم أن المرآة التي قضي عليها بالغرة توفيت، فقضي رسول الله صلي الله عليه وسلم أن ميراثها لبنيها وزوجها،وان العقل علي عصبتها ٥

أما الحكمة في تكافل المسلمين في هذا الجانب فلان جنايات الخطأ تكثر ودية الآدمي كثيرة. كما يري ابن قدامة- فايجابها علي الجاني في ماله يجحف به فاقتضت الحكمة ايجابها علي العاقلة علي سبيل المواساة للقاتل والإعانة له تخفيفا عنه، إذا كان معذورا في فعله، وينفرد هو بالكفارة ٦ .

وفيه أيضا سر حكيم يشير إليه ابن حجر بقوله : ويحتمل أن يكون السرفية انه لو انفرد بالتغريم حتى يفتقر الأمر إلى الإهدار بعد الافتقار، فجعل علي عاقلته، لان احتمال فقد الواحد اكثر من احتمال فقر الجماعة، ولأنه إذا تكرر ذلك منه كان تحذيره من العود إلى مثل ذلك من جماعته ادعي إلى القبول من تحذيره نفسه، والعلم عند الله تعالي ٧ .

أذن فهذا التكافل فيه حث علي دوام التناصح بين الجماعات ، للبعد عن الوقوع في الخطأ، إضافة إلى التضامن العام بين المسلمين.

(ب) وفي القسامة واقرار السنة لها نوع من التكافل الجنائي يؤخذ من اسمها فالقسامة هي مصدر اقسم قسما وهي الأيمان تقسم علي أولياء القتيل إذا ادعوا الدم، أو علي المدعي عليهم

١- راجع " الإسلام عقيدة وشريعة" ص ٣١٥ وما بعدها.
٢- راجع " حاشية ابن عابدين" ج٦ ص ٦٤٦، ٦٤٧ ط. مصطفي البابي الحلبي ط٢ ١٩٦٦ .
٣- راجع"المغني" لابن قدامة ج٧ ص٧٧٠ . مكتبة الجمهورية العربية .
٤- أخرجه البخاري/كتاب الديات/ باب العاقلة/ ج١٥ ص ٢٦٩ ،٢٧٠ "ابن حجر".
٥- أخرجه البخاري /كتاب الديات/باب جنين المرأة/ ج١٥ ص ٢٧٦ .
٦- "المغني لابن قدامة" ج٧ ص ٧٧١ بتصرف.
٧- "فتح الباري" ج١٥ ص ٢٦٩ بتصرف.

الدم ، وخص القسم علي الدم بلفظ القسامة ، وقال إمام الحرمين : القسامة عند أهل اللغة اسم للقوم الذين يقسمون ، وعند الفقهاء اسم للأيمان، وقال في " المحكم":القسامة: الجماعة يقسمون علي الشيء أو يشهدون به، ويمين القسامة منسوب إليهم، ثم أطلقت علي الأيمان نفسها ١ ٠

وهذه التعريفات لمعني القسامة تدل علي التكافل بين الجماعة علي أمر ما من الأمور ،وخص استعمالها في القضاء في دم لم يقر به أصحاب المحلة، التي وجد بها القتيل ،مع ادعاء أولياء المقتول مسؤليتهم عن قتله لتعزر البينة علي القتل غالبا ٠ وللعلماء فيها أقوال متكاثرة أورد ابن عابدين من الفقهاء في كتابه"الحاشية"طائفة منها ٠ ٢

والمعني الذي يخص البحث هو دلالتها علي التكافل الجنائي وانه من فعل النبي صلي الله عليه وسلم وسنته ، وكان ذلك منه صلى الله عليه وسلم على مقتضى كرمه ، وحسن سياسته ، وجلبا للمصلحة ، ودرءا للمفسدة على سبيل التأليف ، ولاسيما عند تعزر الوصول إلي استيفاء الحق ٣ ٠

ومثال القسامة التي وقعت في عهد النبي صلي الله عليه وسلم ما أخرجه البخاري بسنده عن بشير بن يسار :زعم أن رجلا من الأنصار يقال له سهل بن أبى حثمة، اخبره أن نفرا من قومه انطلقوا إلي خيبر ،فتفرقوا فيها،ووجدوا أحدهم قتيلا،وقالوا للذي وجد فيهم: قتلتم صاحبنا، قالوا: ما قتلناه ، وما علمنا قاتلا، فانطلقوا إلى النبي صلي الله عليه وسلم فقالوا:يا رسول الله انطلقنا إلى خيبر ،فوجدنا أحدنا قتيلا،فقال: الكبر الكبر ٤ ، فقال لهم : تأتون بالبينة علي من قتله؟ قالوا: مالنا بينة، قال: فيحلفون، قالوا: لا نرضي بأيمان اليهود، فكره رسول صلي الله عليه وسلم أن يطل دمه، فوداه من ابل الصدقة٥ ٠

وهذه القسامة، وان دفعت من بيت مال المسلمين ، عند تعزر أخذها من المدعي عليهم، لكنها دالة علي تحمل المسئولية لكل واحد في الأمة ،لصرفها من بيت مال المسلمين

٠ فمن تدبر هذه المواقف للنبي صلي الله عليه وسلم ، لا يندهش من تصوير النبي صلي الله عليه وسلم الأمة بالجسد الواحد، أو البنيان يشد بعضه بعضا فهو التكافل والتضامن والتعاون ليسود الأمن و الأمان والمحبة المجتمع الاسلامي٠

١- " فتح الباري" ج١٥ ص ٢٥١ ٠
٢- انظر " حاشية ابن عابدين" ج٦ ص ٦٢٥ / "فتح الباري " ج ١٥ صـــ ٢٥٢، ٢٥٥ ٠
٣- المرجع: السابق ج ١٥ ، ص ٢٥٦ ٠
٤- الكبر الكبر: أي ليتكلم اكبر القوم ٠
٥- اخرجه البخاري/كتاب الديات/ باب القسامة/ ج ١٥ ص ٢٥٢، ٢٥٥ ٠

المبحث السادس
التكافل المادي المعاشي

لكل ملحمة في السنة المطهرة عدتها، لأنها وحي من العليم الخبير ، وبعد:
فهذا النوع من التكافل يقصد به مد يد المساعدة والعون لذوي الحاجة من الفقراء والمساكين ، ومن يلحق بهم كابن السبيل والضيفان والمرضي، والغارمين وأصحاب الحوائج وهي الشدة التي تحتاج إلى المال من سنة أو فتنة، كصحاب الكوارث والزلازل، وما أشبه ذلك ممن استدعت حالته المساعدة والوقوف بجانبه ومؤازرته.
واطلق عليه في عصرنا أسماء منها" التكافل الاقتصادي" و " التكافل الاجتماعي" وان كان لا مشاحة في الاصطلاح ، إلا أن هذه الأسماء لا تتجه مباشرة إلى المعني المراد من هذا النوع من التكافل، وان كان يندرج في مفهومها العام.
مفهوم الاقتصاد في الفكر المعاصر يذهب صاحب " الموسوعة الاقتصادية"١ إلي أن ما صدر من تعاريف لعلم الاقتصاد يمكن تقسيمها بوجه عام إلي مجموعتين:
الأولى تقوم علي أساس الثروة والرفاهية، وهذه تشمل التعاريف القديمة.
واما المجموعة الثانية:فأحدث عهدا وتوصف بأنها اقرب إلى المنهج العلمي ، وهي تبدا من ندرة المواد إلى إشباع الحاجات البشرية .
ويمثل المجموعة الأولى التعريف الذي اطلع به "مارشال" ٢ :"فالاقتصاد السياسي أو علم الاقتصاد هو دراسة تصرفات الإنسان في نشاط الحياة العادي، فهو يبحث في الكيفية التي يحصل بها علي دخله ، وكيف يستخدمه ،وبهذا فهو من جهة دراسة للثروة ، وهو من الجهة الأخرى- وهذا هو الجانب الأهم- جزء من دراسة الإنسان ٣ .
وهذا التعريف ونحوه مما يدور في فلكه يركز علي أن الاقتصاد يتكون من الإنتاج والتبادل والاستهلاك ، كما يركز علي خلق الثروة،واستخدامها، ويقصد بالثروة جميع الوسائل المادية، والتبادل والتوزيع لإشباع الحاجات البشرية ٤ .
واما المجموعة الثانية من التعريفات : فتبدا من الاعتراف بالحاجة البشرية، وندرة وسائل إشباع الحاجات، ومن هذه التعريفات : أن الاقتصاد هو: العلم الذي يدرس السلوك الإنساني كعلاقة بين غايات ووسائل نادرة ذات استعمالات بديلة . ويعني هذا أن الموارد غير كافية لإشباع الحاجات ولابد من إجراء الاختيار حتى يتسني استخدام الموارد علي النحو الذي يحقق اكبر إشباع ٥ .
ويلاحظ في هذه التعريفات في المجموعتين أنها تجعل الإنسان كائن استهلاكي اكثر من كونه منتجا، وأنها تنظر إلى ندرة الموارد مع أن الله تعالي جعل لكل دابة في الأرض رزقها ، وطلب من الإنسان السعي في سبيل تحصيله ، وهذه التعريفات لا تتعرض إلى ربط تنمية الموارد وانفاق الناتج بالعقيدة ، فلا تجعل من السعي عبادة لله ، ولامن الإنفاق طاعة له تعالي.

١- هو د/ راشد البراوي، انظر"الجانب الاقتصادي في فقه الإمام الشافعي" د. محمد الد سوقي استاذ الفقه والأصول . كلية الشريعة/ جامعة قطر ص٤١٨ . منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة- ايسيسكو ١٤١٥ - ١٩٩٤ .
٢- "مارشال" اقتصادي إنجليزي صاحب المؤلف المشهور"مبادئ الاقتصاد السياسي" الذي وضعه عام ١٨٩٠ - مأمن المرجع السابق ص ٤١٩ .
٣- المرجع السابق ص ٤٢٠ .
٤- المرجع السابق ونفس الصحيفة.
٥- المرجع السابق ص ٤٢١، ٤٢٢ ، وراجع التعليق علي خصائص الاقتصاد الإسلامي ص ٤٢٢، ٤٢٣ .

ولا تشير إلى أن المال في الحقيقة هو مال الله عز وجل وان الإنسان مستخلف فيه ، ولا تنبه إلى أن الواجب فيه التكافل الإنساني، إلا جدلا ٠
وعلي ذلك فهو ينظر إلى الفرد كوحدة قائمة بذاتها تعمل بالانا والي الأنا بالدرجة الأولى ، وما بقي من الفتات لابد أن يكون مثمرا في ماله ٠
أما مفهوم الاقتصاد في الشريعة الإسلامية فهو يتسم بخصائص أساسية ينفرد بها عن غيره وهي:
أولا: الجمع بين الثبات والتطور ، ثانيا: الجمع بين المصلحتين العامة والخاصة، ثالثا:الجمع بين المصالح المادية ،والحاجات الروحية ١ ٠
وبيان ذلك: أن الجمع بين الثبات والتطور فيعني أن أصوله في الشريعة الواردة في الكتاب والسنة غير قابلة للتبديل أو التغيير ، والتطور يعني انه صالح لكل زمان ومكان في الإطار الوارد في الأصلين الشريفين٠
أما الجمع بين المصلحتين العامة والخاصة فهو يعني التوفيق بينهما دون أن يطغي كل واحد علي الآخر فالكسب لابد أن يكون حلالا ولا ضرر ولاضرار ٠
واما الجمع بين المصالح المادية والحاجات الروحية فيعني ذلك قيام الاقتصاد علي المنطق الإيماني بالله تعالي هذا٠
ومن مفهوم الاقتصاد في القران الكريم التوسط والاعتدال في الأمر كما قال تعالي"واقتصد في مشيك واغضض من صوتك" ٢ ،وقوله "فمنهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون " ٣ ٠
إذن : فالتعبير بالتكافل الاقتصادي ليس نصا في المسالة بما يمكن معه استعماله دون أن يدخل فيه ما ليس من أفراده ٠
أما عن تسمية التكافل المعاشي ب"التكافل الاجتماعي" فقد تقدم انه اشمل واوسع دائرة من التكافل المعاشي فانه يمكن اندراج التكافل الدفاعي والجنائي، والأخلاقي والعلمي ٠٠تحت هذا المسمي ،والذي اخذ عن الغربيين الذين لا يلزمون أنفسهم الآن بتكافل المجتمع مع الأفراد ، إلا في شؤون المعيشة المادية فحسب من طعام ولباس ومسكن ، أما ما عدا ذلك من نواحي التكافل الاجتماعي ،فلا يعرفونه ولا يؤمنون به في هذه الحضارة،فرد الحرية إلى أسير مغلوب علي أمره ، أو رد العقل والاتزان إلى ماجن خليع مغلوب علي إرادته هو من حقيقة التكافل الاجتماعي ، كما يكون تكافل المجتمع في إطعام جائع، وإسعاف مكروب ٤ ٠
إذن فتسمية هذا الجانب من التكافل بالتكافل المعاشي هو اقرب إلى المقصود من غيره وهو ما ذهب إليه أيضا الأستاذ الدكتور مصطفي السباعي رحمه الله تعالي ٥ ٠

١- المرجع السابق ص ٤٢١، ٤٢٢ ، وراجع التعليق علي خصائص الاقتصاد الإسلامي ص ٤٢٢، ٤٢٣ ٠
٢- سورة لقمان(١٩) ٠
٣- سورة المائدة(٦٦) ٠
٤- راجع "الشتراكية الإسلام" د٠ مصطفي السباعي ص ١٨٤، ١٨٥ ٠
٥- المرجع السابق ص ١٨٤ ٠ واظن أن تسمية "وزارة الشؤون الاجتماعية " قد أخذت من" التكافل الاجتماعي " وان كانت قائمة علي بعض جوانبه ، وهي تسمية طيبة لما فيها من الستر علي ذوي الحاجات في التعامل معها والله اعلم٠

ولكي تتضح لنا صورة التكافل المعاشي في الهدى النبوي الشريف يتطلب ذلك الحديث عن الأمور التالية :

أولا : بيان أن المال هو مال الله التعالي

ثانيا:بيان قيمة العمل في الهدي النبوي الشريف

ثالثا: التكافل في العهد النبوي للشريف

رابعا:مصادر التكافل المعاشى كما دلت عليها السنة المباركة (وافرد في مبحث خاص به لأهميته)٠

أولا :بيان أن المال هو مال الله تعالى

المال في الحقيقة هو مال الله تعالى ،وقد استخلف عبادة فيه ، فضلا منه وكرما قال الله تعالي "ولله ملك السموات والأرض"١ وقال تعالى " وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه "٢ وقال تعالي" وأتوهم من مال الله الذي آتاكم "٣ وقوله" قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شي قدير "٤

ومن السنة النبوية ما أخرجه أبو داود بسنده عن أبى الاحوص عن أبيه قال أتيت النبي صلي الله عليه وسلم في ثوب دون ٣ فقال : ألك ؟ قال : نعم ، قال: من أي المال ؟ قال : قد آتاني الله من الإبل والغنم والخيل والرقيق ، قال : فإذا آتاك الله مالا فلير اثر نعمة الله عليك وكرامته ٠ ٤

واخرج مسلم بسنده عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الدنيا حلوة خضرة ، وان الله مستخلفكم فيها ، فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ، فان أول فتنة بنى إسرائيل كانت في النساء ٠ ٥

والمال كل ما يتموله الإنسان ، وله منفعة مباحة ، شرعا ونسبته إلى الإنسان – كما نرى في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة – إنما هي نسبة استخلاف ومنفعة ، فهي من قبيل المجاز وليس الحقيقة ، والأيمان بهذا الأصل يمنع المرء من كثير من الآثام ، كأن يتكبر على الغير بغناه ، أو أن يطغى فيتجاوز الحلال إلى الحرام في كسبه وإنفاقه ، والشح به ٠

وان الناس متساوين في كسب هذا المال حسبما وضع له من أسباب ، فقد تفاوتوا في الأرزاق لحكمة من الله تعالى في خلقه لينظر كيف يعملون ، ولان في هذا التفاوت عدالة الله تعالى بين العاملين وغير العاملين ، وبين المقتصدين ، والمسرفين ، كما إن من شان التفاوت في الطاقات والقدرات ، تفاوت المكاسب ، وحظوظ العيش ٠

١- سورة النور (٣٣) ٠
٢- سورة آل عمران (٢٦)
٣- قوله (دون) أي قديم بال ٠
٤- أخرجه أبو داود / كتاب اللباس / باب في غسل الثوب / ج ٤ ص ٥١ ٠
٥- أخرجه مسلم / كتاب الرقاق / باب الفتنة بالنساء / ج ١٧ ص ٥٥ ٠

وهذا المال من وسائل السعادة في الدنيا والآخرة إذا احسن الإنسان القيام عليه ، فعن أبى سعيد الخدرى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا المال خضرة حلوة ، فمن أخذة بحقه ووضعه في حقه فنعم المعونة هو ، ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع " ١ فهذا هو المال حقيقته وكسبه وغايته ، ونعم المال الصالح للرجل الصالح .

ثانيا : مكانة العمل وقيمته في السنة الشريفة :

هذا المال الذي سخره الله لعباده بقوله " وسخركم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه " ٢ ، وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على امتلاكه بالعمل والمثابرة والكسب الحلال ، فضلا عن كون السعي في طلبه عبادة ، وطاعة لله تعالى ، فالعمل سر الحياة وقوامها ، واساس كرامة الإنسان وشرفه واحترامه ، واحد أسس رقى الأمة وتقدمها ، وسلاحها في الحرب والسلم .

فأطيب الكسب عند النبي صلى الله عليه وسلم ما كان من عمل الإنسان ، اخرج البخاري بسنده عن المقدام بن معد كرب رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وان نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده" ٣

يرى شيخ الإسلام أن في الحديث فضل العمل باليد ، وتقديم ما يباشره الشخص بنفسه على ما يباشره بغيره ، ويري إن الحكمة في تخصيص داود بالذكر أن اقتصاره في أكله علي ما يعمله بيده لم يكن من الحاجة لأنه كان خليفة في الأرض كما قال الله تعالي،وإنما ابتغي الأكل من طريق افضل، ولهذا أورد النبي صلي الله عليه وسلم قصته في مقام الاحتجاج بها علي ما قدمه من أن خير الكسب عمل اليد، وهذا يعد – أيضا – تقرير أن شرع من قبلنا شرع لنا لا سيما إذا ورد في شرعنا مدحه، وتحسينه مع عموم قوله "فبهداهم اقتده" ، فذكر الشيء بدليله أوقع في نفس سامعه ، وان التكسب بالعمل الحلال لا يقدح في التوكل علي الله تعالي" ٤

واخرج البخاري بسنده عن أبى هريرة يقول: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " لان يحتطب أحدكم حزمة علي ظهره خير من أن يسال أحدا فيعطيه أو يمنعه " ٥ .

وكان النبي صلي الله عليه وسلم يعمل في صغره برعي الغنم ، وفي شبابه بالتجارة في مال السيدة خديجة رضي الله عنها، وكان الأنبياء يعملون ، فقد اخرج ابن ماجة بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: "كان ذكريا نجارا" ٦ .

١- اخرجه مسلم/كتاب الزكاة/ باب التحذير من الاغترار بزينة الدنيا/ ج٧ ص ١٤٢، ١٤٣ .
٢- سورة الجاثية (١٣) .
٣- اخرجه البخاري/ كتاب البيوع/ باب كسب الرجل عمله بيده/ج٥ ص ٢٠٩ .
٤- راجع" فتح الباري" ج٥ ص ٢٠٩ .
٥- أخرجه البخاري/ كتاب البيوع/ باب كسب الرجل عمله بيده/ ج٥ ص ٢١٠ .
٦- أخرجه ابن ماجة/كتاب التجارات/ باب الصناعات/ ج٢ ص ٧٢٧ .

وقد أعلى النبي صلي الله عليه وسلم قدر التجارة والتجار حين قال عليه الصلاة والسلام: " التاجر الأمين الصدوق المسلم مع الشهداء يوم القيامة" ١ ٠
فينبغي علي الشباب المسلم ألا يتواني في طلب العمل ولا يحتقر مهنة من المهن فطريق الكسب الحلال كثير، وارض الله واسعة ، وهيئ من الأسباب مالا حصر له في أرضه، فل ا يا نف شاب من عمل ولا صنعة، فان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة، وقد قال صلي الله عليه وسلم "من بات كالا من عمل يده بات مغفورا له "٢
وقد قال عليه الصلاة والسلام "كفى بالمرء إثما أن يضع من يعول" ٣ ٠
وقال صلي الله عليه وسلم " اليد العليا خير من اليد السفلي"٤ ٠ وقال صلي الله عليه وسلم " وما انفق الرجل علي نفسه وأهله وخادمه فهو صدقة"٥ ، وغير ذلك الكثير من الأقوال الشريفة في الحث علي العمل ، والكسب الحلال ٠ وقد دعت السنة إلى إحياء الأرض الموات عن طريق العمل لتنميه الموارد، فقد روي الدار مي بسنده عن جابر بن عبد الله اخبره أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال:" من أحيا الأرض ميته فهي له اجر وما أكلت العافية منها صدقة ٦ ٠
ومفهوم التنمية الاقتصادية في عصرنا : أحداث تغيير شامل يصيب الإنسان كما يصيب موارد المجتمع المادية، وينعكس هذا التغيير علي مستوي الدخل القومي الذي يزيد بنسبة اكبر من نسبة الزيادة السكانية، حتى تتحقق الرفاهية، أو يرتفع مستوي المعيشة ٧ ٠
ولاشك ان السنة الشريفة لا تعارض مفهوم التنمية، ولا تعارض ان يكون الإنسان ذا مال وملكية واسعة، مادام أنها من كسب حلال لا ضرر فيه ولا ضرار، وان يؤد المسلم منها حق

١- أخرجه ابن ماجة/كتاب التجاريات/ باب الحث علي المكاسب/ ج٢ ص ٧٢٤ ، وفي إسناده كلثوم بن جوشن،ضعيف٠ وقد وثقه ابن معين والبخاري" تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٤٤٢ ٠
أخرجه الترمذي من حديث أبى سعيد / كتاب البيوع/ باب ما جاء في التجارة ٠٠٠/ ج٣ ص ٥٥١ ٠
وقال حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الثوري عن أبى حمزة
أخرجه الدرامي / كتاب البيوع / باب في التاجر الصدوق/ج٢ ص ٢٤٧ ٠
أخرجه الدار قطني / كتاب البيوع/ الحديث ١٨/ ج٣ ص ٧ ٠
٢- أخرجه ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ج٤ ص ٢٨٤ ،ط بيروت ٠
٣- أخرجه الحاكم/ كتاب الفتن و الملاحم/ باب كفي بالمرء إثما أن يضيع من يعول /ج٤ ص ٥٠٠ ٠
٤- أخرجه مسلم / كتاب الزكاة/ باب بيان أن اليد العليا خير ٠٠٠ / ج٢ ص ٧١٧ ط إحياء الكتب العربية ٠
٥- أخرجه ابن ماجة/ كتاب التجاريات/ باب الحث علي المكاسب/ج٢ ص ٧٢٣ ٠
٦- أخرجه الدرامي / كتاب البيوع/ باب من أحيا أرضا ميتة فهي له/ ج٢ ص ٢٦٧ ٠
والحديث أخرجه الترمذي / كتاب الأحكام/ باب ما ذكر في إحياء أرض الأموات / ج٣ ص ٦٦٣
وقال: هذا حديث حسن صحيح ٠ / والعافية: الطير وما شبه ذلك٠
٧- " راجع الجانب الاقتصادي في فقه الإمام الشافعي" ص ٤٣٢ ٠

الله تعالي ، ويتصدق بالفضل من ماله. ومن ابلغ ما ورد في الحث علي العمل وعلاج البطالة ما أخرجه أبو داود بسنده عن انس بن مالك : أن رجلا من الأنصار أتي النبي صلي الله عليه وسلم يسأله، فقال: أما في بيتك شئ؟ قال: بلي حلس نلبس بعضه، ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه من الماء، قال ائتني بهما، فاتاه بهما:فاخذهما رسول الله صلي الله عليه وسلم بيده،وقال من يشتري هذين، - فباعهما بدرهمين فيمن يزيد- وقال اشتري بإحداهما طعاما فانبذه إلى اهلك، واشتر بالآخر قدما فائتني به فاتاه فشد فيه رسول الله صلي الله عليه وسلم عودا بيده ثم قال اذهب فاحتطب وبع، ولا أرينك خمسة عشر يوما ، فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاء ،وقد أصاب عشرة دراهم،فاشتري ببعضها ثوبا، وببعضها طعاما، فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم"هذا خير لك من أن تجئ المسالة نكتة في وجهك يوم القيامة،إن المسالة لا تصلح إلا لثلاثة : لذي فقر مدقع ، أو لذي غرم مفظع، أو لذي دم موجع ١ .

وهذا الحديث لو اقتدي به شباب العصر لكان فيه الحل لكثير من مشاكلهم . والله اعلم.

ثالثا : التكافل المعاشي في العهد النبوي (المكي – المدني):

أولا العهد المكي:

اندرج معني السنة الشريفة عند المحدثين أخباره صلي الله عليه وسلم وسيرته قبل النبوة، لان الحال يستفاد منه، ما كان عليه قبل النبوة من كزائم الأخلاق ، ومحاسن الأعمال، التي هي من دلائل نبوته صلي الله عليه وسلم ٢ .

والشاهد في هذا أن مبتدأ التكافل المعاشي كان متعمقا في في وجدان النبي صلي الله عليه وسلم من قبل البعثة، وكان للوحي فضل إقراره عليه، وتذكيته في نفسه صلي الله عليه وسلم، ومن دلائل ذلك: القول الجامع للسيدة خديجة رضي الله عنها في وصفها للنبي صلي الله عليه وسلم بقولها:" كلا والله لا يخزيك الله أبدا، انك لتصل الرحم، تقري الضيف، وتحمل الكل وتكسب المعدوم، وتعين علي نوائب الحق ٣ .

١- سبق تخريجه عند أبي داود، واختصرت شيئا منه لذكره فيما تقدم.
والحديث أخرجه الترمذي/كتاب البيوع/باب ما جاء في بيع من يزيد / ج٣ ص ٥٢٢ وقال: حديث حسن.
أخرجه ابن ماجة/كتاب التجارات/باب بيع المزايدة/ ج٢ ص ٧٤٠، ٧٤١ .
أخرجه احمد / ج٣ ص ١١٤ . الحلس بكسر الحاء وسكون اللام كساء يوضع علي ظهر البعير أو فراش يبسطه . ومدقع اي شديد . و"دم موجع " هو أن يتحمل دية يسعي فيها إلى أولياء المقتول، فان لم يؤدها قتل المحتمل عنه ، فيوجعه قتله. انظرها من ابن ماجة ج٢ ص ٧٤١ .

٢- راجع " قواعد التحديث " لجمال الدين القاسمي ص ٦٤٠ ط عيسي البابي الحلبي وشركاه/ " دراسات في علوم الحديث" القسم الأول ص ٣٢ . أ.د العجمي الدمنهوري خليفة . ط وزارة الأوقاف .

٣- انظر "البداية والنهاية " لابن كثير المجلد الثاني ص ٣ .

هل يخرج معنى التكافل عن هذا السلوك للفطرة النبوية السليمة انه التكافل في أسمى معانيه واشرف غاياته ، ومقاصده وكان لكفالته لعلى ابن أبى طالب كرم الله وجهة تحقيقا لذلك : أصاب قريش أزمة شديدة في بعض أيامها ،وكان أبو طالب عم النبي صلي الله عليه وسلم ذا عيال كثيرة ولم يكن على ثراء من المال ،وان كان ذا ثرا من الشرف والمكانة في قريش ،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس عمه ،وكان من ايسر بني هاشم : يا عم أن أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى فانطلق بنا إليه ،فلنخفف عنه من عياله ، آخذمن بنيه واحدا، وتأخذ أنت واحدا، فقال العباس : نعم فانطلقا ، حتى آتيا أبا طالب فقالا له : آنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ماهم فيه، فقال لهما أبو طالب : إذا تركتما لي عقيلا فاصنعا ما شئتما ،فاخذ النبي عليا،فضمه أليه ،فاخذ العباس جعفر فضمه أليه ، فلم يزل علي مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تعالى،فكان من أوائل من آمن به وصدق ،ولم يزل جعفر عند العباس حتى اسلم واستغنى.١

وزادته النبوة جودا وكرما وانفاقا حتى تخلل التكافل وجدان كل من حوله ممن شرح الله صدره للإسلام .وكان في صدارة هولاء أبا بكر الصديق رضى الله عنه فقد سارع بشراء اعبد كانوا يعذبون في الله تعالى منهم بلال بن رباح وأبو فكيهة،وعامر بن فهيرة وحمامة آم بلال وغيرهم ولا يمسكهم بل يقوم بعتقهم في سبيل الله تعالى ٢

وموقف آخر لأبى بكر إلا هو إنفاقه كل ماله في هجرة النبي صلي الله عليه وسلم٣، فكان من ابرز من قام بواجب التكافل بمعناه العام والخاص بعد النبي صلى الله عليه وسلم اخرج مسلم بسنده عن أبى سعيد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن آمن الناس علي في ماله وصحبته أبو بكر ولو كانت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن اخوة الإسلام ، لا تبقين في المسجد خوخة ألا خوخة أبى بكر٤

وكان للسيدة خديجة دورها ،فأنها لم تدخر جهدا في مواساة النبي صلى الله عليه وسلم بنفسها ومالها ،وكان لمالها ابرز الأثر حين مقاطعة قريش لبني هاشم وبني المطالب واعتزالهم في شعب بنى هاشم ، اخرج احمد بسنده عن عائشة :كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر خديجة أثني عليها بأحسن الثناء ،وقالت : فغرت يوما فقلت ماالكثرما تذكرها حمرة الشدقين قدا أبدلك الله خيرا منها قال : ما أبدلني الله خيرا منها ،وقد آمنت بي إذ كفر بي

١- راجع"مختصر سيرة ابن هشام" ج١ ص ١٦٦،١٦٧ بتصرف.
٢- المرجع السابق ج١ ص ١٧٤، ٢٠١ /" البادية والنهاية" ج٢ص ٥٨ .
٣- راجع" البداية والنهاية" ج٣ ص ١٧٧- ١٧٩ / " ومختصر السيرة" ج١ ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ / صحيح البخاري / كتاب الأنبياء / هجرة النبي صلي الله عليه وسلم/ ج٥ ص ٢٣٠، ٢٤٨ .
٤- أخرجه مسلم/ كتاب الفضائل / باب فضائل أبى بكر الصديق /ج١٥ ص ١٥٠ " النووي".
أخرجه البخاري/ كتاب حديث الأنبياء/ باب هجرة النبي صلي الله عليه وسلم/ ج٨ ص ٢٣١ .

الناس،وصدقتني إذ كذبني الناس ، واستني بمالها إذ حرمني الناس ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء ١ .

هذه نماذج مما كانت في العهد النبوي في مكة قبل الهجرة ،تظهر ما كان من تكافل معاش بينهم ، واثر النبي صلى الله عليه وسلم في تذكية هذه الشعبة الإيمانية في نفوس أصحابه رضوان الله تعالى عليهم .

ثانيا: العهد المدني:

في هذا العهد ظهر التكافل المعاشي بصورة واضحة، عندما هاجر المسلمون من مكة إلي المدينة ، تاركين ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا، وشهد الله تعالي لهم بذلك في قوله " للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا، وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ٢ .

حين وصل هؤلاء إلى المدينة لقيهم إخوانهم من الأنصار كأحسن ما يلقي الرجل أخاه ، بكل جود وكرم، وآخى رسول الله بينهم ليذهب عمن هاجر وحشة الغربة، ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة في مكة،ويشد أزر بعضهم بعضا ؛

وكانوا بهذا الإخاء يتوارثون ،فعن ابن عباس"ولكل جعلنا موالي " قال: ورثة، "والذين عقدت أيمانكم" كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المها جرى الأنصاري دون ذوي رحمة للاخوة التي آخى النبي صلي الله عليه وسلم بينهم، فلما نزلت" ولكل جعلنا موالي" نسخت، ثم قال:" والذين عقدت أيمانكم فأتوهم نصيبهم" من النصر والرفادة والنصيحة،وقد ذهب الميراث ويوصي له ٣ .

نماذج من التكافل المعاشي في هذا العهد:

(١) سارع الأنصار ملبين دعوة النبي صلي الله عليه وسلم للتضامن مع إخوانهم من المهاجرين ، فعرضوا تقسيم أموالهم بينهم ، اخرج البخاري بسنده عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قالت الأنصار اقسم بيننا وبينهم النخل قال: لا قال: يكفوننا المؤنة ويشركوننا في الثمر ، قالوا سمعنا واطعنا٤ .

وفي رواية البخاري عن انس بن مالك رضي الله عنه قال : لما قدم المهاجرون المدينة من مكة، وليس بأيديهم ، وكانت الأنصار أهل الأرض والعقار، فقاسمهم الأنصار علي أن

١- أخرجه احمد ج٦ ص ١١٨ . قال ابن كثير عند ذكره لهذه الرواية تفرد به احمد وإسناده لا باس به ، ومجالد روي له مسلم متابعة، وفيه كلام مشهور راجع" البداية والنهاية" ج٢ ص ١٢٨ .

٢- سورة الحشر (اية٨) .

٣- انظر" البداية والنهاية" ج٣ ص ٢٢٦ والأية من سورة النساء (٣٣) .

٤- أخرجه البخاري / كتاب فضائل الأنصار/ باب إخاء النبي صلي الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار/ج٨ ص١١٤ .

يعطوهم ثمار أموالهم ، كل عام ويكفوهم العمل والمؤنة١ .
وظاهر رواية أبى هريرة أنها كانت الأرض مشاركة بينهم أما رواية، انس فهي ظاهرة في إن هذه الأرض كانت منيحة لهم أي ينتفعون بثمارها دون أن يتملكوا اصولها .
وجمع ابن حجر بينهما بان المراد بالمقاسمة هنا القسمة المعنوية وهي التي أجابهم إليها في حديث أبى هريرة حيث قال : قالوا: فيكفوننا المؤنه ونشركهم في الثمار والمنفي هنا مقاسمة الأصول ٢
ويمكن الجمع بتعدد المواقف فرواية أبى هريرة تشير إلى أن طائفة من المهاجرين كانوا يزارعون إخوانهم من الأنصار بنصيب من الثمار ويشير إلى ذلك ما أورده البخاري في كتاب المزارعة بقوله: وقال قيس ابن مسلم عن أبى جعفر قال: ما بالمدينة أهل بيت هجرة ألا يزرعون علي الثلث والربع وزارع علي وسعد بن مالك وعبد الله بن مسعود ... "٣ .
نعم أورد البخاري هذه الآثار لبيان جواز المزارعة لكنها أفادت نوع من التعامل بين المهاجرين والأنصار، ويدل علي ذلك إيراد البخاري رواية أبى هريرة في كتاب المزارعة كدليل علي جوازها .
وفي رواية انس نوع آخر من التكافل وهي التي ذكرها البخاري في كتاب الهبة، باب فضل المنيحة : العطية وهي علي وجهين: البقاء في يد الصاحب فتكون له، أو أن ينتفع بها وترد إلى مالكها واشتهرت في النعم
وعلي هذا فيكون من الأنصار من منح المهاجر ليقوم في العمل فيها ويأخذ ثمارها ويؤيد ذلك ما جاء في خبر انس ابن مالك ، أن النبي صلي الله عليه وسلم لما فرغ من قتل أهل خيبر فانصرف إلى المدينة رد المهاجرون إلى الأنصار منائحهم التي كانوا منحوهم من ثمارهم ، فرد النبي صلي الله عليه وسلم إلى أمه عزقها ،فأعطى رسول الله صلي الله عليه وسلم مكانهن من حائطه ٤ .
ويوجد نوع ثالث : من هذا التكافل أوردها ابن كثير عقب رواية أبى هريرة وفيها : قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ، قال رسول الله صلي الله عليه وسلم للأنصار" إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم فقالوا: أموالنا بيننا قطائع فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم أو غير ذلك ؟ قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال: هم لا يعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر، قالوا : نعم٥ .
ويفهم من هذه الرواية أن من الأنصار من كان ضعيفا لا يقوي علي العمل ، أولا خبرة له بالزراعة، فكان يكلفه أخاه الأنصاري كفالة تامة، باعطاءه شطرا من ثمار زراعته.

١- أخرجه البخاري/ كتاب الهبة/ باب فضل المنيحة/ ج٦ ص ١٧١ .
٢- راجع"فتح الباري" ج٦ ص ١٧١ .
٣- أورده البخاري/ كتاب المزارعة/ باب المزارعة بالشطر ونحوه/ ج٥ ص ٤٠٧ .
٤- أخرجه البخاري / كتاب الهبة/ باب فضل المنيحة/ ج٦ ص ١٧١ ، قوله إلى أمه: أي إلى أم انس وهي أم سليم .
٥- "البداية والنهاية" ج٣ ص ٢٢٧ .

ويخلص من ذلك صور ثلاثة من تكافل المهاجرين والأنصار الأولى مزارعة المهاجر لأخيه الأنصاري، الثاني: إعطاء الأنصار لأخيه المهاجر أرضا منيحة لينتفع بها، الثالثة: ألا يكف الأنصاري أخاه المهاجر إن كان ضعيفا أو لا قدرة له علي العمل بشيء منه ، فيعطيه من الثمار بحق كفالة الأخ لأخيه، والله اعلم.

(ب) في هذا النموذج من التكافل الاجتماعي نرى عرضا سخيا ، وعفة رفيعة، وذلك حين يعرض الأنصاري علي أخيه المهاجر مالا فيجد في نفسه القدرة علي الكسب فيرد ما عرض عليه ردا جميلا. ،روي البخاري بسنده عن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده قال: لما قدموا المدينة آخى رسول الله صلي الله عليه وسلم بين عبد الرحمن وسعد بن الربيع فقال: لعبد الرحمن: أني اكثر الأنصار مالا،فاقسم مالي نصفين ، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي ، أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجتها قال: بارك الله لك في اهلك ومالك ، أين سوقك فدلوه علي سوق بني قينقاع ، فما انقلب ألا ومعه فضل من قط وسمن، ثم تابع الغدو، ثم جاء يوما وبه اثر صفرة، فقال النبي صلي الله عليه وسلم: مهيم، قال: تزوجت، قال: كم سقف أليها ؟ قال: نواة من ذهب أو وزن نواه من ذهب . شك إبراهيم ١ .

(ج) وكان انشاط المهاجرين في العمل وعدم الركون علي تضامن الأنصار معهم أثره في التكافل المعاشي ، فنجد انهم حين استقر بهم الحال يندفعون إلى تدبر أمر معاشهم لأنفسهم ولغيرهم ، وقد رأينا عبد الرحمن بن عوف يسارع بمجرد نزوله إلى التجارة فيعمل علي بركة الله تعالي فيها لكونه ماهرا بها، وضرب المهاجرون حينئذ مثلا في التكافل فيقوم عثمان بن عفان بشراء بئر رومة العزبة ويسبلها، اخرج النسائي بسنده عن الأحنف ابن قيس قال: قال: عثمان بن عفان " انشكم بالله الذي لا اله إلا هو تعلمون أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: من ابتاع بئر رومة غفر الله له ، فابتعتها بكذا وكذا، فأتيت رسول الله صلي الله عليه وسلم فقلت لقد ابتعتها بكذا وكذا قال: اجعلها سقاية للمسلمين واجرها لك، قالوا: نعم ٢ . الحديث .

وفي هذا الخبر دلالات رفيعة الشان في مسالة التكافل من جانب ، وعلو الهمة في البذل في سبيل الله تعالي من جانب اخر .

من دلائل الأيمان حب الأنصار:

وكان نتيجة البذل والسخاء والكرم الأنصاري أن جعل النبي صلي الله عليه وسلم من دلائل الأيمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الانصار ٣ .

١- أخرجه البخاري /كتاب فضائل الأنصار/ باب إخاء النبي صلي الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار/ج٨ ص ١١٣ .

٢- أخرجه النسائي /كتاب الجهاد /باب فضل من جهد غازيا/ جـ٦ ص ٦٢٧ .
واخرجه/كتاب الاحباس / باب وقف المساجد/ ج٦ ص ٢٣٣ وما بعدها.
واخرجه الترمذي / كتاب المناقب/ باب في مناقب عثمان/ جـ٥ ص ٦٢٧ .
واخرجه الدار قطني/ كتاب الاحباس / باب وقف المساجد والقايات / ج ٤ ، ص ١٩٦ .
واخرجه البغوي في الحسان/ كتاب المناقب/ باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه/ ج٤ ص ١٦٥ .

٣- أخرجه البخاري/ كتاب فضائل الأنصار / باب حب الأنصار من الأيمان/ ج ٨ ص ١١٤ .

ولقد كان النبي صلي الله عليه وسلم يقم بأنهم انهم احب الناس إليه،
روي انس بن مالك قال: جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم ومعها صبي لها فكلمها رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال: والذي نفسي بيده أنكم احب الناس إلى ٠ مرتين ١ ٠ وقد مدحهم الله تعالي بقوله " والذين تبوؤا الدار والأيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم إلى قوله" أولئك هم المفلحون"٢ وهذا جزء الحديث ٠

ولا عجب في ذلك فان تكافل الأنصار المعاشي للمهاجرين حين قدومهم إلى المدينة وموانستهم، فاق كل حد يمكن أن يوصف به التكافل المعاشي في عصرنا ، بل والتكافل الاجتماعي في كل نواحيه رضي الله عنهم اجمعين ، ولقد كان النبي صلي الله عليه وسلم يدربهم عمليا في مجلسه ،فان جاءه سائل أو صاحب حاجة وليس عنده ما يقضيه دعا الناس في مجلسه إلى كفالته،فقد حدث او بردة بن أبى موسى عن أبيه رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلي الله عليه وسلم، إذا جاءه سائل أو طلبت إليه حاجة قال: اشفعوا تؤجروا ، ويقضي الله علي لسان نبيه صلي الله عليه وسلم ما شاء ٣ ٠
ومراد الحديث التضامن مع صاحب الحاجة ، قال ابن بطال: اشفعوا يحصل لكم الأجر سواء قضيت الحاجة أولا ٤ ٠ فمن لم يكن عنده ما يعين به ، فيحصل له الأجر بالسعي في قضائها ولو من غيره والله اعلم ٠

دوافع الأنصار للتكافل والمسلمون عامة :

أما عن دوافع هذا التكافل من الأنصار خاصة والمسلمون عامة فهو يرجع إلى الإرشادات النبوية إلى هذا الطريق ، وما يلقاه المنفق عند الله تعالي من حسن الجزاء في الدنيا بحسن الذكر، والبركة في المال، والأهل والنفس، وما يجده عند الله تعالي في الآخرة من حسن العاقبة ٠
ومن هذه الإرشادات والتوجيهات النبوية وصايته بالجار ومما اشتهر في ذلك ما روته السيدة عائشة رضي الله عنها أنها سمعت النبي صلي الله عليه وسلم يقول: مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه ٥ ٠
ومن أساليب التكافل المعاشي بين الجيران ما رواه أبو ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يا أبا ذر إذا طبخت مرقه فاكثر ماءها وتعاهد جيرانك ٦ ٠

١- أخرجه البخاري / في الموضع السابق / باب قول النبي صلي الله عليه وسلم للانصار ٠٠٠ ج٨ ص ١١٥ ٠
٢- سورة الحشر (٩)٠
٣- أخرجه البخاري / كتاب الزكاة / باب التحريص علي الصدقة٠٠٠/ج٤ ص٤٢ ٠
واخرجه مسلم/ كتاب البر والصلة / باب استحباب الشفاعة فيما ليس بمحرم / ج ١٦ ص ١٧٧ ٠
٤- انظر " فتح الباري" ج ٤ ص ٤٢ ٠
٥- أخرجه مسلم/ كتاب البر والصلة/ باب الوصية بالجار/ج١٦ ص ١٧٦ ٠
٦- المصدر السابق ونفس الموضع ج١٦ ص ١٧٧ ٠

ومن الإرشادات النبوية ببيان أن إقراء الضيف وكفالته المعيشية حق له ، اخرج البخاري بسنده عن عقبة ابن عامر رضي الله عنه انه قال: قلنا يا رسول الله انك تبعثنا فننزل بقوم لا يقروننا فما ترى،فقال لنا رسول الله صلي الله عليه وسلم: أن نزلتم بقوم فأمروا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا ، فان لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم ١ ٠

والحق أن النصوص التي تدفع إلى التكافل المعاشي توافرت بها الأخبار ، بما يدفع كل قارئ لها بقلب عامر بالأيمان ، ألا يدخر جهدا في بذل ما يقدر عليه ، لأصحاب الحاجات الملحة، وفي صدارتها إقامة الأود بتوفير الحاجات الضرورية من عيش وملبس ومسكن، وتامين صحي وما شابه ذلك مما لا يستغني عنه الإنسان ٠

النظام ألا شعري في التكافل المعيشي :

ومن ارفع الأمثلة التي ضمتها السنة المباركة في التكافل المعاشي نظام ألا شعريين ، اخرج البخاري بسنده عن أبى موسى قال: قال النبي صلي الله عليه وسلم : أن ألا شعريين ، إذا ارملوا في الغزو ، أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ، ثم اقتسموه بينهم في أناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم ٢ ٠

ففي قوله " إذا ارملوا" أي فني زادهم ، فالجملة كناية عن شدة الحاجة فكأنهم لصقوا بالرمل من القلة ، كما قال تعالي" أو مسكينا ذا متربة" ٣ ٠

وقوله :" فهم مني وأنا منهم" قال ابن حجر أي هم متصلون بي، وقيل المراد فعلوا فعلي في هذه المواساة وفي الحديث فضيلة عظيمة للشعريين قبيلة أبى موسى وتحدث الرجل بمناقبه ٤ ٠

وجواز هبة المجهول ، وفضيلة الإيثار والمواساة ، واستحباب خلط الزاد في السفر وفي الإقامة أيضا"٥ ٠ ومراد الجملة عند النووي : إباحة بعضهم بعضا ومواساتهم بالموجود ٦ ٠

أن الدين للواقع وليس مجرد أسس ومبادئ وقواعد عرية عن التطبيق ، فلو طبق منهج السنة في التكافل ما كان في الأمة الإسلامية جائع ولا عار ولا مسكين فالأيمان بالله تعالي، وطاعة النبي صلي الله عليه وسلم ، يستتبع كل عمل شريف ، وكل خصلة طيبة ، وتحري البر في الأقوال والأعمال ، واتباع مكارم الأخلاق في العلاقات ، لا سيما في التكافل المعاشي ٠ والله اعلم

١- أخرجه البخاري/ كتاب الأداب / باب إكرام الضيف وخدمته/ ج ١٣ ص ١٤٩ ٠

٢- الحديث متفق عليه: أخرجه البخاري/ كتاب الشركة/ باب في الطعام ٠٠٠ ج ٦ ص٥٥ ٠ واخرجه مسلم / كتاب الفضائل / باب من فضائل ألا شعريين رضي الله عنهم/ ج ص ٦٢، ٦٣ ٠

٣- سورة

٤- هذا الحديث الواقع من أبى موسى ليس علي جهة الفخر أو الكبر ،وإنما يوجه إلى الدعوة إلى التكافل ومدح النبي صلي الله عليه وسلم لهذه الخصلة ٠

٥- راجع " فتح الباري" ج٦ ص ٥٥ بتصرف ٠

٦- شرح" صحيح مسلم" للنووي ج ١٦ ص ٦٢ ٠

المبحث السابع
مصادر التكافل الاجتماعي وموارده

التفاعل مع السنة الشريفة بإناه وحكمة ، يظهر مدي النظام والدقة والترتيب في أي قضية من القضايا ، فالنتائج فيها تقوم علي مقدمات ، بشكل متكامل مبني علي أسباب متوافقة مع كل عقل حكيم ، بعيدة عن الأهواء والشهوات ، والميول النفسية أو المصلحة الشخصية ، لا يفارقها لحظة من اللحظات الشعور الإيماني بالله تعالي ، وبذلك تختلف عن أي نظام بشري مجرد عن الاتصال الروحي ، كما أن منهج السنة المباركة يتميز عن القوانين البشرية ، بسعة الإدراك لأي قضية من القضايا ، وأبعادها وحدودها، فهي ناطقة بوحي الله تعالي العليم بكل شئ ، الخبير بدقائق الأمور والأشياء ، فتوضع الأشياء جنبا إلى جنب ، حتى تؤتي ثمارها جنية مباركة طيبة ، وتحقق المقاصد والغايات والنتائج بأسلوب علمي ، واسس قوية متينة .

ومن ابلغ ما يقال في السنة أنها برهان قائم للدهر قيام المنارات في الساحل علي نبوته – صلي الله عليه وسلم – ما يقول الرافعي – يثبت ببرهان الفلسفة،وعلوم النفس انه روح لن تتعزى عن شئ منها بشيء من غيرها كائنا ما كان، فلا تتبع الامتهاج رب العزة جل وعلا، فليس مبتدعا لشريعة من قبل نفسه، وليس متعلقا بالمصادفات الكونية أو الاجتماعية أو الاجتماعية، ولا رجل الأرض في الأرض ، لكن رجل السماء في الأرض [١] .

فلو أن سائلا سال: إذا كانت السنة المطهرة داعية إلى التكافل المعاشي ، فما هي مصادر هذا التكافل؟

للإجابة عن هذا السؤال: نجد أن السنة – وهي تالية القران الكريم في التشريع ومنه انطلاقها – ولم تغفل ذلك ، وإنما وجهة ذوي الأيمان إلى موارد متضافرة تحقق الهدف بأسلوب غاية في الرقي ، وهي في الوقت نفسه غير قابلة للنضوب ، أو الاهتزاز ، بل تزداد هذه الموارد في الكم والثبات والرسوخ كلما ازداد الأيمان بالله تعالي، وفيما يلي طائفة من موارد التكافل المعاشي .

<u>أولا: الزكاة أحد مصادر التكافل المعاشي:</u>

الزكاة هي الركن الثالث من أركان البناء الإسلامي ، جعلها الله تعالي فريضة محكمة علي عباده القادرين المالكين للنصاب ، طهره لهم وتزكية لأنفسهم ،قال تعالي"خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم " [٢] .

وقال: " وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله "[٣] .

ونص النبي صلي الله عليه وسلم في أقواله علي فرضها ، فقد روي ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلي الله عليه وسلم بعث معاذا رضي الله عنه إلى اليمن فقال: ادعهم إلى شهادة أن لا اله إلا الله واني رسول الله ، فان هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات

١- انظر" وحي القلم" لمصطفي صادق الرفاعي ج٢ ص ٢٣ ،ط مطبعة الاستقامة ط ١٣٦٦- ١٩٤٧ .
٢- سورة التوبة(١٠٣) .
٣- سورة البقرة(١١٠) .

في كل يوم وليلة، فان هم أطاعوا لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد في فقرائهم ١ ٠

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن أعرابيا أتى النبي صلي الله عليه وسلم فقال: دلني علي عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: تعبد الله لا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان ،قال والذي نفسي بيده ، لا أزيد علي هذا ، فلما ولي ، قال النبي صلي الله عليه وسلم : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا ٢ ٠

وحذر النبي صلي الله عليه وسلم من جمع المال ، وترك صرفه في حقه لكسب الجاه، والتنعيم بطيب المطعم والملبس والمركب والمسكن ، ولأنه اعرض عن إخراج حق الله تعالي ، في مال الله ، وترك مواساة الفقير وولاه ظهره، اخرج البخاري بسنده عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :"من أتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه ، ثم يقول : أنا مالك أنا كنزك، ثم تلا قول الله تعالي "ولا يحسبن الذين يبخلون ٠ الآية ٣ ٠

ويبين النبي صلي الله عليه وسلم إن ما أدى زكاته فليس بكنز، اخرج ابن خريمة بسنده عن جابر بن عبد الله عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: إذا أديت زكاة مالك فقد أذهبت عنك شره ٤ ٠

ونبه النبي صلي الله عليه وسلم إلى نظافة المال وكونه كسب طيب لان الله تعالي لا يقبل ألا الطيب ، فاخرج البخاري بسنده عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : من تصدق بعدل تمر من كسب طيب، ولا يقبل الله ألا الطيب ، وان الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل ٥ ٠

وهذا تفسير وبيان لقوله عز وجل " يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم " ٦ ٠

وعلة الرفض لغير الطيب، انه غير مملوك للمتصدق ، وهو ممنوع من التصرف فيه كما يبين القرطبي- والمتصدق به متصرف فيه ، فلو قبل منه لزم إن يكون الشيء مأمورا منهيا من وجه واحد وهو محال ٧ ٠

وأداء الزكاة خالصة لوجه الله تعالي ، مرضاة للرب، وعتق لصاحبها من النار مهما قلت ، روي عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: اتقوا النار ولو بشق تمرة" ٨ ٠

١- أخرجه البخاري / كتاب الزكاة/ باب / ج٤ ص ٤ / (ابن حجر) ٠
٢- المصدر السابق/ ج٤ ص ٦، ٧ ٠
٣- المصدر السابق/ باب إثم مانع الزكاة / ج٤ ص ١٢، ١٣ ٠ والأية" ١٨٠ من سورة عمران" ٠
" مثل" اي صور لو صير " والشجاع" الحية الذكر" (الأقرع) الذي تمعط رأسه لكثرة سمه (زبيبتان) تثنية زبيبة لحمتان علي رأسه مثل القرنين ٠ (لهزمتيه) شدقيه ٠
٤- اخرجه ابن خزيمة في صحيحه/ كتاب الزكاة/ باب دليل اخبر علي ان الوعيد للمكتنز ٠٠٠/ ج٤ ص ١٣، ط اولي – ١٣٩٥- ١٩٧٥ / المكتب الإسلامي بيروت ٠
٥- أخرجه البخاري/ كتاب الزكاة/ باب الصدقة من كسب طيب / ج٤ ص ٢٠ – ٢٢ ٠
" وفلوه" الفلو هو الفرس الصغير ٠
٦- سورة البقرة(٢٦٧) ٠
٧- انظر" فتح الباري" ج٤ ص ٢١ بتصرف ٠
٨- أخرجه البخاري/ كتاب الزكاة:/ باب اتقوا النار ولو بشق تمرة/ ج٤ ص ٢٦ ٠

وقد وضعت السنة مقدارا لما يخرج لكل نوع من المال ، لا يرهق صاحب المال، ولا يحرجه في دينه، وماله، فعن سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: " ليس فيما دون خمس ذود صدقة من الإبل ، وليس فيما دون خمس اواق صدقة، وليس فيما دون خمسة أو سق صدقة[١] ومن فقه البخاري في صحيحه يقول في " باب لا صدقة إلا عن ظهر غني" ومن تصدق وهو محتاج، أو أهله محتاج أو عليه دين فالدين لحق أن يقضي من الصدقة ، والعتق والهبة، وهو الرد عليه، ليس عليه أن يتلف أموال الناس [٢] .

واخرج تلو هذا بسنده عن أبى هريرة قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " خير الصدقة ما كان عن ظهر غني وأبدا بمن تحول" [٣] .

واوصي النبي صلي الله عليه وسلم عماله بالأخذ من أوسط المال ، وترك النفيس الذي تتعلق به نفس صاحبه ، فان طابت نفسه بشيء منه فله اجره، فعن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلي الله عليه وسلم ، لما بعث معاذا علي اليمن قال:" وتوق كزائم أموال الناس" [٤] .

وفي رواية ابن خزيمة عن ابن عباس " فاياك وكزائم أموالهم ، واتقي دعوة المظلوم فانها ليس بينها وبين الله حجاب [٥] ونبه النبي صلي الله عليه وسلم إلي ضرورة تنمية هذا المصدر ، الذي يعد موردا ثابتا من موارد التكافل المعاشي ، فاخرج البخاري بسنده عن انس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم" ما من مسلم يغرس غرسا ، أو يزرع زرعا فيأكل منه طيرا أو إنسان، أو بهيمة ، إلا كان له به صدقة [٦] . وهذا الحديث وان كان فيه عموم الحث علي الزراعة والغرس إلا انه يرشد إلي تنمية موارد الزكاة فكل ما اعتني الزارع بزراعته ، وتوسع فيها أفقيا كلما زاد إنتاجها ويتبع ذلك زيادة ما يخرج منها الزكاة .

اخرج مالك في بلاغته إن عمر ابن الخطاب قال" اتجروا في أموال اليتامى ، لاتاكلها الزكاة" وفي بلاغاته أيضا عن السيدة عائشة زوج النبي صلي الله عليه وسلم" كانت تعطي أموال اليتامى الذين في حجرها من يتجر لهم فيها" [٧] .

ولما كان هذا المورد بالغ الأهمية في مراعاة زوى الحاجات شرع النبي صلي الله عليه وسلم قتال ما نعي الزكاة ، وهو ما فعله أبو بكر الصديق حين ولي خلافة المسلمين ، اخرج مسلم بسنده عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله لا الله ، وان محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا عصموا مني دمائهم واموالهم ألا بحقها وحسابهم علي الله" [٨] .

١- الموضع السابق / باب زكاة الورق/ ج٤ ص ٥٢، ٥٣ .
٢- الموضع السابق/ باب لا صدقة الا عن ظهر غني / ج٤ ص ٣٦ .
٣- الموضع السابق/ باب لا صدقة إلا عن ظهر غني/ ج٤ ص ٣٧، ٣٨ .
٤- الموضع السابق / باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة/ ج ٤ ص ٦٤ " جزء الحديث" .
٥- أخرجه ابن خزيمة / كتاب الزكاة/ باب الزجر عن اخذ المصدق خيار المال/ ج٤ ص ٢٣ . " جزء الحديث" .
٦- أخرجه البخاري/ كتاب المزارعة/ باب فضل الزرع والغرس/ ج ص ٤٠٠ .
٧- الموطأ / كتاب الزكاة / باب زكاة أموال اليتامى والاتجار لهم فيها / ج١ ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
٨- أخرجه مسلم/كتاب الأيمان/ باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا اله إلا الله / ج ١ ص ٢١٢ .

وحدد الله عز وجل مصارف هذه الموارد بما يستوعب أصحاب الحاجات في ثمانية أنواع فقال تعالي:" إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل ، وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم" ١ ٠

وبهذا التوجيه إلى مصارف الزكاة ينقطع أطماع الأغنياء في الحصول علي شئ منها ، فلا يجوز الخروج عن هذه الدائرة التي بينها الله تعالي للصدقة المفروضة فالزكاة حق الله تعالي ، فيما استخلف الناس فيه من مال ، يتصرف فيه كيف شاء، وينظر كيف نعمل ٠

فالزكاة موجهة إلى أصحاب الحاجات من الفقراء والمساكين وما يلحق بهم من ذوي العاهات غير القادرين علي الكسب كا العميان ، وضعاف البصر والصم والبكم والصرعي والمعتوهين، وضعاف البنية من الشيوخ، واصحاب الأمراض المزمنة التي لا يرجي البرء منها ، وتحت قوله "في سبيل الله " هي جهة ينتفع بها كافة المسلمين ٠ وهذا المصدر للتكافل المعشي يشمل جميع أنواع المال الذي بلغ النصاب وحال عليه الحول علي خلاف بعض مسائله كحلي الزينة ٠

وكان يأخذها النبي صلي الله عليه وسلم فيوزعها في مصادرها ومن بعده أبو بكر وعمر رضي الله عنهما كذا عثمان ابن عفان رضي الله عنه، فلما كثرت الأموال الباطنة في زمانه كالذهب والفضة وأموال التجارة طالب بها زمانا ثم رأي أن تتبعها حرجا علي الأمة ، وفي تفشيها ضرار بأرباب الأموال فوص الأداء لأربابها ٢ ٠

وبعد هذه الصورة الموجزة عن هذا المصدر للتكافل المعاشي ، فالاعتقاد انه لو تحقق في الأمة الإسلامية في عصورنا كما لو سمته قواعد السنة المباركة ، لا صبح للامة ما تنشره من سعادة وارفة الظلال ، يسعد فيها الغني بمال أطاع الله فيه دون من ولا آذى، ويعد الفقير وذوي الحاجات ، بما هيئ الله تعالي لهم من نعمة العون ، والشعور الإسلامي تجاه الاخوة ، كما أن فيه صلاح لنفوس الأغنياء من البخل والشح والقسوة علي المحتاجين، فضلا عن تدريب أنفسهم بهذا الواجب الشرعي علي البذل والسخاء بوجه الله تعالي، وصلاح لذوي الحاجات ، فتطهر نفوسهم من الحسد والحقد علي الأغنياء، والطمع في أموالهم بغير طريقها الشرعي، وصلاح لأحوال المجتمع الاقتصادية، والاجتماعية، والنجاة من الصراع الطبقي ٠

ثانيا: صدقة الفطر من مصادر التكافل المعاشي:

والمراد بصدقة الفطر : هي صدقة تجب بالفطر من رمضان ، علي كل مسلم شهد الشهر ، وعلي

١- سورة التوبة(٦٠) ٠

٢- راجع" بدائع الصنائع" للكاساني ج٢ ص ٨٨٣ وما بعدها ، ط مطبعة الامام- بمصر ٠

من يعوله من الزوجة والأولاد، والاعبد وكل من تلزمه نفقته، وقرا جمع أصحاب المذاهب الأربعة علي وجوبها علي كل مسلم حر مالك للنصاب الفاضل عن حاجته الاصلية١ ٠
اخرج البخاري بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: فرض رسول الله صلي الله عليه وسلم الفطر صاعا من التمر، أو صاعا من شعير علي العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير ٢ ٠
فهذا المورد الثاني للتكافل المعاشي لإدخال الفرح والسرور علي المحتاجين في يوم العيد ، ولذلك أمر النبي صلي الله عليه وسلم بإخراجها قبل العيد، ليتمكن المحتاج من قضاء حاجته، اخرج ابن خزيمة بسنده عن ابن عمر: أن النبي صلي الله عليه وسلم أمر بإخراج زكاة الفطر قبل خروج الناس إلى الصلاة، وان عبد الله بن عمر كان يؤدي قبل ذلك بيوم أو يومين ٣ ٠
وفهم أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم توجيهاته السديدة، ومقاصدها ، فلم يألوا جهدا في الاتباع والسمع والطاعة، واخرج ما يزيد عن حاجاتهم بل ، ويؤثرون علي أنفسهم ولو كان بهم خصاصة٠
وحرص النبي عليه الصلاة والسلام ألا يحرم المسلم خير هذا اليوم، وان تعير المرآة أختها ثوبا لتشهد به العيد، إن لم يكن عندها ، اخرج البخاري بسنده عن حفصة قالت: كنا نمنع عواتقنا أن يخرجن في العيدين، فقدمت امرأة فنزلت قصر بني خلف، فحدثت عن أختها ، وكان زوج أختها غزا مع النبي صلي الله عليه وسلم ثنتي عشرة ، وكانت أختي معه في ست ، قالت: كنا نداوي الكلمى، ونقوم علي المرضي ، فسالت أختي النبي صلي الله عليه وسلم اعلي إحدانا باس إذا لم يكن لها جلباب ألا تخرج؟ قال: لتلبسها صاحبتها من جلبابها ، وتشهد الخير ودعوة المسلمين ٠٠٠ "٤ ٠
والشاهد في هذا الحديث ما كان من دعوة النبي صلي الله عليه وسلم بين المسلمين فالتكافل حتى في الملبس والله اعلم٠
ثالثا: الأضاحي من مصادر التكافل المعاشي:
والأضاحي جمع أضحية سميت بأول الزمان فعلها وهو الضحى، وهو ما يذبح من النعم، تقربا إلى الله تعالي ، من يوم العيد إلى أخر أيام التشريق٠
والأصل في مشروعية الأضحية قوله تعالي" فصل لربك وانحر" ٥ ٠
ومن السنة الشريفة ما رواه انس قال: ضحي النبي صلي الله عليه وسلم بكبشين املحين اقرنين ذبحهما بيده، وسمي وكبر ووضع رجليه علي صفاحهما ٦ ٠

١- راجع " حاشية ابن عابدين" ج٢ ص ٣٥٧ / صحيح البخاري / كتاب الزكاة / أبواب صدقة الفطر/ ج٤ ص ١١٠ / " فتح الباري " لابن حجر ج٤ ص ١١٠ ، ١١١ / " الفقه علي المذاهب الأربعة"القسم العبادات ج١ وزارة الأوقاف ٠ ط السادسة ١٣٩٦- ١٩٧٦ ٠ وفي المسالة خلاف بين الفقهاء في الفريضة والوجوب والنسخ بزكاة الأموال ، وتعقب دعوى النسخ بانه لا يلزم من نزول فرض سقوط فرض آخر ، وفيه حديث النسائي وابن خزيمة عن قيس ابن سعد قال: امرنا رسول الله صلي الله عليه وسلم بصدقة الفطر قبل أن تنزل الزكاة، فلما نزلت لم يأمرنا ولم ينهنا ، ونحن نفعله٠ أخرجه ابن خزيمة/ جماع أبواب صدقة الفطر ٠٠٠ / ج٤ ص٨١ ٠
٢- أخرجه البخاري / كتاب الزكاة/ أبواب صدقة الفطر/ ج٤ ص ١١١ ٠
٣- أخرجه ابن خزيمة/ جماع أبواب صدقة الفطر/ باب الأمر بأداء صدقة الفطر ٠٠٠/ ج٤ ص ٩٠، ٩١ ٠
٤- أخرجه البخاري/ كتاب الحيض/ باب شهود الحائض العيد٠٠ / ج١ ص ٤٣٩ ٠
٥- سورة الكوثر"٢" ٠
٦- أخرجه البخاري كتاب الأضاحي باب التكبير عند الذبح ج٢ ص ٢٣٨
أخرجه مسلم /كتاب الأضاحي/ باب استحباب التضحية وذبحها مباشرة ٠٠٠/ ج٦ ص ٧٧ / راجع " الإقناع" ج٢ ص ٢٣٩ ؟" المغني لابن قدامة" ج٨ ص ٦٢٨ ٠

وكان النبي صلي الله عليه وسلم يحث عليها ، ويقسم أحيانا أضاحي بين الصحابة تأكيدا لهذه السنة المباركة، اخرج النسائي بسنده عن عقبة عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قسم بين أصحابه ضحايا فصارت لي خذعة فقلت :يا رسول الله صارت لي جزعة فقال ضح بها ١ .
واكثر أهل العلم يرون الأضحية سنة مؤكدة ، وقال ربيعة ومالك والثوري والليث وأبو حنيفة واجبة، والراجح هو رأي الجمهور في كونها سنة مؤكدة علي القادرين ٢ .
وقد حدث إن نزل أهل البادية إلى المدينة بكثرة فنهي النبي صلي الله عليه وسلم عن إمساك لحوم الأضاحي فوق ثلاثة أيام ، ليطعم الناس ، اخرج النسائي بسنده عن ابن عمر أن رسول الله صلي الله عليه وسلم ، نهي أن تؤكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث ٣ . وعندما كفي الناس حاجتهم فأذن النبي صلي الله عليه وسلم بالادخار و التزود منها فعن جابر بن عبد الله انه اخبره أن رسول الله صلي الله عليه وسلم " نهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث ، ثم قال : كلوا وتزودوا وادخروا ٤ .
وهذا المصدر من مصادر التكافل المعاشي مما يحرص عليه المسلمون طلبا لثواب الله تعالي واقتداء وطاعة لرسول الله صلي الله عليه وسلم . فهي توسعة علي الأهل والفقراء وصلة للأصدقاء فتقوي أواصر الصداقة والاخوة بين المسلمين، روت عائشة أن النبي صلي الله عليه وسلم قال: " ما عمل ابن آدم يوم النحر عملا احب إلى الله عز وجل من هراقة دم ، وانه ليأتي يوم القيامة، بقرونها ، وأظافرها ، وأشعارها ، وان الدم ليقع من الله عز وجل بمكان، قبل أن يقع علي الأرض ، فطيبوا بها أنفسكم" ٥ .
ففي هذا الحديث حث علي التكافل بأسلوب بلاغي عظيم،وفيه تشويق المؤمن للإنفاق والسخاء علي من يعول ، وتخليص ما ينفعه من المن والرياء ، والأذى، فهذه أشياء لا تواكب عادات المسلم وتصرفاته. فالتكافل المعاشي في الأضاحي واضح الدلالة في فضله، وحسن صنيعه. والله اعلم.

رابعا : الاحباس وهي من موارد التكافل المعاشي :

صحة الأيمان بالله تعالي وبرسوله صلي الله عليه وسلم، وتعمق هذا الأيمان في وجدان المرء وكيانه هذا الأيمان يدفعه إلى أعمال الفكر وإبداع كل ما يحبه الله تعالي، ورسوله صلي الله عليه وسلم ، وما الاحباس إلا انطلاقة متألقة في سماء طاعة الله تعالي.
والحبس عند الأزهري: يقع كل شئ وقفه صاحبه، وقفا محرما، لا يورث، ولا يباع من ارض وتحل وكرم، ومستغل يحبس اصله وقفا مؤبدا، وتسبل ثمرته تقربا إلى الله عز وجل ٦ .

١- أخرجه النسائي / كتاب الأضاحي / باب المسنة والجذعة/ ج٧ ص ٢١٨ .
أخرجه البخاري/ كتاب الوكالة/ باب وكالة الشريك في القسمة وغيرها/ ج٣،ص ٦٠ .
أخرجه مسلم/ كتاب الأضاحي/ باب سن الأضحية/ ج٦ ص ٧٧ . والجذعة من الضان ما لم تتم سنه.
٢- راجع المغني" لابن قدامة ج٨ ص٦٢٨، ٦٢٩ .
٣- أخرجه النسائي/ كتاب الأضاحي/ باب النهي عن الأكل من لحوم الأضاحي بعد ثلاث/ ج٧ ص ٢٣٢ .
٤- المصدر السابق/ باب الأذن في ذلك/ ج٧ ص ٢٣٣ .
٥- أخرجه ابن ماجة/ كتاب الأضاحي/ باب ثواب الضحية/ ج٢ ص ١٠٤٥ .
٦- راجع" لسان العرب" ج١ ص ٥٥١ .ط دار اللسان العربي – بيروت .

والحبس هو الوقف ١ .
واستعماله في عصورنا اشهر ، وهذا يختلف عما كان أهل الجاهلية يحسبونه من السوائب والبحار والحوامي ونحو ذلك ، فنزل القران بإحلال ما كانوا يحرمونه منها، وإطلاق ما حبسوا بغير أمر الله تعالي ، فكانوا إذا كرهوا النساء لقبح أو قلة مال حبسوهن عن الأزواج لان أولياء الميت كانوا أولى بهن عندهن ٢ . أما الحبس الذي هو أخ الوقف هو ما سنة النبي صلي الله عليه وسلم أمر به رضي الله عنه، فقد اخرج البخاري بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما : أن عمر تصدق بمال له علي عهد الرسول صلي الله عليه وسلم، وكان يقال له ثمغ ، وكان نخلا ، فقال: عمر: يا رسول الله أني استفدت مالا وهو عندي نفيس فارت أن أتصدق به ، فقال النبي صلي الله عليه وسلم : تصدق بأصله لا يباع ولا يوهب، ولا يورث ، ولكن ينفق ثمره، فتصدق به عمر، فصدقته تلك في سبيل الله وفي القارب والمساكين، والضعيف، وابن السبيل ولذي القربي ، ولا جناح علي من وليه إن يأكل منه بالمعروف، وان يؤكل صديقه غير مشمول به ٣ .
وفي رواية له: قال صلي الله عليه وسلم : أن شئت حبست أصلها تصدقت بها، فتصدق عمر انه لا يباع اصلها ولا يوهب ، ولا يورث ٤ .
استدل النووي بهذا الحديث علي صحة اصل الوقف، وانه مخالف لشوائب الجاهلية قال: وهذا مذهبنا ومذهب الجماهير، ويدل عليه أيضا إجماع المسلمين علي صحة وقف المساجد والقايات، وفيه فضيلة الوقف، وهي الصدقة الجارية، وفيه فضيلة الأنفاق مما يجب، وفيه فضيلة لعمر رضي الله عنه، وفيه مشاورة أهل الفضل والصلاح في الأمور وطق الخير ٥ .
وممن وقف في عهد النبي صلي الله عليه وسلم سعد بن عبادة رضي الله عنه، فقد توفيت أمه وهو غائب عنها فقال: يا رسول الله أن أمي توفيت وأنا غائب عنها، أينفعها شئ إن تصدقت به عنها؟ قال: نعم، قال: فأني أشهدك أن حائطي المخراف صدقة عليها٦ .
وهذا المصدر للتكافل المعاشي حث النبي صلي الله عليه وسلم علي تنميته والإكثار منه، ويشير إلى ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ،أو ولد صالح يدعو له" ٧ .

١- المرجع السابق بنفس الموضع.
٢- المرجع السابق ج١ ص ٥٥١ بتصرف .
٣- أخرجه البخاري/ كتاب الوصية/ باب ما للوصي أن يعمل في مال اليتيم ... / ج٦ ص ٣٢١، ٣٢٢ " فتح الباري" .
٤- الموضع السابق / ج٦ ص ٣٢٩ .
٥- " شرح صحيح مسلم" للنووي ج١١ ص ٨٦ .
٦- أخرجه البخاري / كتاب الوصية/ باب إذا قال ارضي وبستاني صدقة لله عن أمي / ج٦ ص ٣١٥ .
٧- أخرجه مسلم/ كتاب الوصية/ باب ما يلحق الإنسان من ثواب بعد وفاته/ ج١١ ص ٨٥ .

وهذا الحديث فيه دلالة للعلماء علي صحة الوقف، وعظم ثوابه وفضله ١ .
وقد تقدم وقف سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه لبئر رومة بعد شرائها . ولسائل أن يسال ما الدافع لكل هذا التكافل ، وما الذي يكمن خلفه، حتى ينزل عن احب الأموال إليه ؟ مع أن الرأسمالي يضن في غالب أحواله بالصدقة، ويعتبرها نقصا في راس ماله؟
وإجابة لهذا السؤال يورد البخاري بسنده قصة أبي طلحة عن انس بن مالك رضي الله عنه يقول: كان أبو طلحة اكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل، وكان احب ماله إليه بيرحاء ، مستقبلة المسجد، وكان النبي صلي الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب ، وقال انس: فلما نزلت" لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون " ٢ ، قام أبو طلحة فقال: يا رسول الله أن الله يقول " لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون " وان احب أموالي إلى بيرجاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله تعالي ، فضعها حيث أراك الله ، فقال: بخ بخ ذلك مال رابح أو رابح – شك ابن مسلمة – وقد سمعت ما قلت، واني أرى أن تجعلها في الأقربين ، قال أبو طلحة: افعل ذلك يا رسول الله ،فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه ٣ .
انه دافع الأيمان والوثوق بالله تعالي وان ما عنده خير وابقي، لقد قبلها النبي صلي الله عليه وسلم معجبا به، وشكر صنيعه ، ثم آمره أن يخص بها أهله وقرابته، انه تكافل معاشي بين الأهل والعشيرة عن طيب خاطر ، وقناعة نفس، انه اقتداء بالنبي صلي الله عليه وسلم ، وسمعا وطاعة واستجابة لله رب العالمين، اخرج الدار قطني بسنده عن عمرو بن الحارث وهو يقول :" ما ترك رسول الله صلي الله عليه وسلم ، إلا سلاحه وبغلته البيضاء، وأرضا جعلها صدقة٤ .
فالوقف مصدر راق من مصادر التكافل المعاشي.

خامسا: صدقة التطوع من مصادر التكافل المعاشي:

المراد بصدقة التطوع: عطاء غير واجب وغير مقدر شرعا ، بل تعينه القدرة، والحاجة الشخصية للمحتاج أو حاجة المجتمع، فهي غير الزكاة المفروضة.
وصدقة التطوع في مفهوم السنة المباركة ، باب من أبواب التكافل المعاشي مفتوح علي مصر عيه لا يتقيد بزمان، أو مكان، أو جهة ، أو مقدار، فقد أطلقت السنة الشريفة عنانها لتجوب بأذن الله تعالي بين الناس كافة، علي مختلف طبقاتهم، وعلاقاتهم بعضهم ببعض.
ودافع صدقة التطوع الرحمة التي ملا الله تعالي بها قلوب عباده المؤمنين ، فتفيض أيديهم بالعطاء والإحسان ، والبذل والسخاء، فخير الناس منزلة، وارفعهم مكانة عند المولي عز وجل من عني بأهله، وجيرانه، وإخوانه المسلمين ، وادخل عليهم البشر والسرور والخير، وكان بهم

١- راجع" شرح صحيح مسلم" للنووي ج١١ ص ٨٥ .
٢- سورة آل عمران (٩٢) .
٣- أخرجه البخاري/ كتاب الوصية/ باب إذا وقف أرضا ولم يبين الحدود ... / ج٦ ص ٣٢٥، ٣٢٦ .
(بخ بخ) كلمة تدل علي تفخيم الأمر والإعجاب به.
٤- أخرجه الدار قطني/ كتاب الاحباس/ حديث٢ / ج٤ ص ١٨٥ .

بارا رحيما، ويجمع النبي صلي الله عليه وسلم التكافل المعاشي وغيره تحت قول جامع، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلي الله عليه وسلم قال:" كل معروف صدقة" ١ ٠ قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه : لما قدم النبي صلي الله عليه وسلم جئت فلما تبينت وجهه عرفت أن ليس بوجه الكذب، فكان أول ما قال: " يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام ٢ ٠ وهذا الحديث جامع لكثير من التوجيهات النبوية، والتي كان بعض صد أرتها، " التكافل المعاشي" وأشار إليه بقوله"طعموا الطعام"٠

وحين حث النبي صلي الله عليه وسلم علي أنفاق الفضل، والزائد عن الحاجة، أيضا يدعو إلى التكافل المعاشي: اخرج مسلم بسنده عن أبى سعيد الخدري قال: بينما نحن في سفر مع النبي صلي الله عليه وسلم، إذ جاءه رجل علي راحلة له ، قال: فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا، فقال: رسول الله صلي الله عليه وسلم: من كان معه فضل ظهر فليعد به علي من لا ظهر له ، ومن كان له فضل من زاد فليعد به علي من لا زاد له ، قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر ، حتى رأينا انه لا حق لاحد منا في فضل ٣ ٠

وهذا القول الشريف فيه دعوة إلى التكافل عن طريق صدقة التطوع ، ويري النووي: أن في الحديث الحث علي الصدقة والجود، والمواساة والإحسان إلي الرفقة والأصحاب ، والاعتناء بمصالح الأصحاب ، وامر كبير القوم أصحابه بمواساة المحتاج ، وانه يكفي حاجة المحتاج بتعوضه للعطاء ، وتعريضه من غير سؤال، وهذا معني قوله " فجعل يصرف بصره" أي متعرضا لشيء يدفع به حاجته ٤ ٠

وصدقة التطوع يندرج فيها صلة ذوي الأرحام، وما ينفقه الرجل علي زوجته وأهله" يشير إلي ذلك ما رواه أبو مسعود البدري عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: أن المسلم إذا انفق علي أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة ٥ ٠

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به علي مسكين ، ودينار أنفقته علي أهلك، أعظمها أجرا الذي أنفقته علي اهلك ٦ ٠

وعن أبى هريرة – أيضا- يبلغ به النبي صلي الله عليه وسلم قال: قال الله تبارك وتعالي: يا ابن آدم انفق انفق عليك ٧ ٠

١- أخرجه البخاري/ كتاب الأدب/ باب كل معروف صدقة/ ج ١٢ ص ٥٥ ٠
٢- أخرجه البغوي وهذا لفظه/ كتاب الزكاة/ باب فضل الصدقة/ ج٢ ص ٤٩ ٠
والحديث اخرجة الترمذي/ كتاب صفة القيامة/باب / ج٤ ص ٦٥٤ ، وقال هذا حديث صحيح ٠
واخرجه ابن ماجه/كتاب إقامة الصلاة،/ باب ما جاء في قيام الليل/ ج١ ص ٤٣٢ ٠
واخرجه الدرامي/ كتاب الصلاة/ باب فضل صلاة الليل/ ج١ ص ٣٤٠، ٣٤١ ٠
واخرجه احمد ج٥ ص ٤٥١ ٠
٣- أخرجه مسلم /كتاب اللقطة/ باب استحباب المواساة بفضول المال/ ج١٢ ص ٣٣ "النووي" ٠
٤- راجع " شرح صحيح مسلم " للنووي ج١٢ ص ٣٣ ٠
٥- أخرجه مسلم/ كتاب الزكاة/ باب فضل النفقة علي الاقربين ٠٠٠٠ / ج٧ ص٨٨ ٠
٦- أخرجه مسلم/كتاب الزكاة/ باب فضل النفقة علي العيال ٠٠٠٠ / ج٧ ص٨٢ ٠
٧- المصدر السابق/ باب الحث علي النفقة/ ج٧ ص ٧٩ ٠

وهذا الحديث القدسي عن المولي عز وجل ، يحث علي الأنفاق في سبيله، دون خشية الفقر، ومن قواعد الكلية قوله تعالي" فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره "١ .
ولا يشترط في صدقة التطوع أن يكون مالا ، كما لا يشترط في التكافل المعاشي أيضا ، وهذا مثال أخرجه ابن خزيمة – دال علي ذلك – بسنده عن سعد قال : قلت يا رسول الله إن أمي ماتت فتصدق عنها؟ فقال: نعم، فقلت أي صدقة افضل ؟ قال: اسقاء الماء ٢
فهذا التوجيه النبوي الشريف إلى اسقاء الماء فهو تكافل معاشي إلى شئ كان المجتمع في ذلك الوقت في حاجة إليه، وهو يشير أيضا إلى تكافل الأفراد مع الدولة في قضاء حاجة الأفراد، مما أحوجنا إلى فهم صحيح للسنة المباركة، وإيمان عميق ، ومحبة صادقة للعمل بالتوجيهات الشريفة، لينطلق أهل الثراء في ميدان التكافل لا يخشون من ذي العرس إقلالا، فتعود إلى الدنيا سيرتها الأولي، واخلاق السلف الصالح في وجودهم وإيثارهم، وفي بذلهم وانفاقهم .

سادسا: الهبة والعطية والنحلة:

تعد الهبة من مصادر التكافل المعاشي وهي في اللغة إيصال الشيء للغير بما ينفعه سواء كان مالا أو غير مال، يقال وهبت له مالا ووهبه الله تعالي مالا، وشرعا: تمليك بلا عوض في حياة ، وأركانها واهب، وموهوب له ، وموهوب وشرطها عدم التعليق، وعدم التأقيت ، ويتم ملكها بالقبول والقبض، وأهلية الواهب والموهوب له .
ومعني الهبة العطية والنحلة وهما: عطاء بلا عوض أو مطلقا، ومنه قوله تعالي" وأتوا النساء صدقاتهن نحلة" أي عطية ٣ .
فمن وهب أنسانا شيئا مما تحوله علي جهة المنفعة له ولاهله، ففي غالب الأحوال يكون الموهوب له في حاجة اليها، فتواسه، وتقضي حاجته، وتشد أزره، وتعينه علي طاعة الله تعالي في أمن واستقرار . وهذه تختلف عن عطايا وهبات الحكام والأمراء ، وولاة الأمر لحاشيتهم ومن حولهم وما شابه ذلك .
وترجع هذه الهبة إلى ما ورد في السنة الشريفة، واخرج مسلم بسنده أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: حملت علي فرس عتيق في سبيل الله ، فأضاعه صاحبه، فظننت انه بائعه برخص، فسالت رسول الله صلي الله عليه وسلم عن ذلك فقال: لا تبتعه ولا تعد في صدقتك، كالكلب يعود في قيئه ٤ .
وفي رواية عن ابن عباس عن رسول الله صلي الله عليه وسلم: قال: العائد في هبته كالكلب يقئ ثم يعود في قيئه ٥ .

١- أخرجه ابن خزيمة/ جماع أبواب الصدقات/ باب فضل سقي الماء/ ج٤ ص ١٢٣ .
٢-
٣- راجع " كتاب شرح الأحاديث المختارة" لفضيلة الأستاذ/ عبد الحميد الشاذلي ص ٣، ٤، ١٦ .
والأية من سورة النساء (٤) .
٤- أخرجه المسلم/ كتاب الهبة/ باب كراهية شراء الإنسان ما تصدق به ممن تصدق عليه/ ج١١ ص ٦٢ .
واخرجه البخاري / كتاب الجهاد/ باب إذا حمل علي فرس فراه تباع/ ج٦ ص ١٣٩، ١٤٠ .
٥- أخرجها مسلم / كتاب الهبة/ باب تحريم الرجوع في الصدقة والهبة/ ج١١.ص ٦٥ .

فالهبة والعطية والنحلة حين تكون وجهتها أهل الحاجة من الفقراء والمساكين والضعفاء ، لا شك أنها تنزل منهم منزلة الماء العذب في يوم شديد قيظه، وبنفس المعني لصاحبها يوم القيامة، فان الله تعالي لا يضيع اجر من احسن عملا .

سابعا: العمري من مصادر التكافل المعاشي:

اعمره دارا أو أرضا أو إبلا أعطاه إياها ، وقال هي لك عمري أو عمرك فإذا مت رجعت إلى ١ فيراد بالعمري: أن يقول الرجل لآخر الدار أو نحوها مما ينتفع به لك ولعقبك، فإذا قال هي لك ما عشت فأنها ترجع إلى صاحبها .

وألفاظها اعمرتك هذه الدار مثلا، أو جعلتها لك عُمرك، أو حياتك، أو ما عشت أو حييت ، أو بقيت، أو ما شابه هذا المعني .

والأصل في العمري ما ورد في السنة المباركة واخرجه مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله اخبره: أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: أيما رجل اعمر عمري له ولعقبه، فقال: قد أعطيتكما وعقبك ما بقي منكم أحد فأنها لمن أعطيها، وإنها لا ترجع إلى صاحبها من اجل انه أعطى عطاء وقعت فيه المواريث ٢ .

وفي رواية عن جابر قال: إنما العمري التي أجازها رسول الله صلي الله عليه وسلم أن يقول: هي لك ولعقبك ، فأما إذا قال: هي لك ما عشت ، فأنها ترجع إلى صاحبها ، قال معمر: وكان الزهري يفتي به٣ .

وحكي النووي عن أصحابه في العمري ثلاثة أحوال: أحدهما: أن يقول اعمرتك هذه الدار فاذا مت فهي لورثتك، أو لعقبك فتصح بلا خلاف ، ويملك بهذا اللفظ رقبة الدار، وهي هبة لكنها بعبارة طويلة ، فإذا مات فالدار للورثة، فإذا لم يكن له وارث فلبيت المال .

الحال الثاني : أن يقتصر علي قوله جعلتها لك عمرك ، ولا يتعرض لما سواه ففي صحة هذا العقد قولان، للشافعي أصحهما، وهو الجديد صحته ، وله حكم الحال الأول ، وفي القديم أراء منها عودتها لصاحبها عند موته، أو متي شاء المالك .

الثالث: أن يقول المالك جعلتها لك عمرك، فإذا مت عادت إلي، أو إلى ورثتي وفيها خلاف في الصحة وبطلانها . ولاصحاب المذاهب أقوال متعددة٤ .

ويلحق بالعمري الرقبي وهي التي ترد عند موت واحد من الطرفين ٥ .

والشاهد في ذلك: أن العمري والرقبي هما من أنواع التكافل المعاشي بين المسلمين وباب من أبواب الصدقة، ألا تري أنها تقضي حاجة امرئ في سكن أن كان دارا ، أو في عين أن كانت حديقة، أو مزرعة أو نحوها . نعم قد يدخلها التحديد بوقت ويعود الأصل إلى صاحبه ، ولكنها معونة لصاحب الحاجة، والله اعلم .

١- راجع "مختار الصحاح"للرازي ص ٤٥٤ .

(٢، ٣) – اخرجه مسلم / كتاب الهبة/ باب العمري/ ج١١ ص ٧٠ ، ٧١ .

واخرجه البخاري/ كتاب الهبة/ باب ما قيل في العمري/ ج٥ ص ٢٣٨ .

٤- انظر " شرح الأمام مسلم" للنووي ج١١ ص ٧٠، ٧١ .

٥- راجع" المغني " لابن قدامة ج٥ ص ٦٨٧، ٦٩١ .

ثامنا: الوصية من مصادر التكافل المعاشي:

الوصية في الشرع هي عهد خاص مضاف متعلق إلي ما بعد الموت، فان اشتملت علي إثبات تصرف لصالح الورثة فهو الايصاء، وقد اجمع المسلمون علي الأمر بها ، ومذهب الجمهور أنها مندوبة إلا لمن عليه دين، خلافا لداود الظاهري الذي قال بالوجوب ١ .

فهي باب من أبواب التكافل بين المسلمين ، والأصل فيها قوله تعالي" من بعد وصية يوصي بها أو دين" ٢ .

ومن السنة ما أخرجه مسلم بسنده عن ابن عمر أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: ماحق امرئ مسلم له شئ يريد أن يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده" ٣ .

وحددت السنة الشريفة الوصية بمقدار الثلث، وفي الزيادة عليه خلاف فعن عامر بن سعد عن أبيه قال: عادني رسول الله صلي الله عليه وسلم في حجة الوداع من وجع أشفيت منه علي الموت ، فقلت: يا رسول الله بلغني ما تري من الوجع، وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة لي واحدة، أف أتصدق بثلثي مالي ؟ قال : لا قال: قلت: أف أتصدق بشطره قال: لا ، الثلث والثلث كثير، انك أن تزر ورثتك أغنياء خير من أن تزرهم عالة يتكففون الناس ، ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله تعالي، إلا أجرت عليها ، حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك ... " الحديث ٤ .

فالوصاية علي هذا لاشك في كونها باب من أبواب صلة المسلم للمسلم وتكافلهما، وبما وقعت الوصية عند غير المسلمين ، ولكن اكثر ما تكون للحيوانات. نعم، السنة لم تغفل مسؤولية الإنسان عن الحيوان ففيه الجنة والنار، ولكن هل يترك الإنسان الذي كرمه الله تعالي ، ويوصي للحيوان؟ في عصر تموت فيه شعوب من الكوارث بأشكالها وأنواعها تارة ، ومن الجوع تارة أخرى؟

إن السنة- كرمها الله تعالي وصاحبها- لهي التنظيم الأمثل الذي ينبغي أن يتبع – بعد كتاب الله تعالي – فان فيها ارفع المثل، واعظم القيم . والله اعلم.

تاسعا: النذور من مصادر التكافل المعاشي:

النزر في اللغة هو الوعد بخير أو شر، وشرعا: التزام قربة ليست لازمة بأصل الشيء منجزا أو معلقا، وأركانه ناذ ومنذور، وصيغة، وشروطه إسلام، الناذر، واختياره، ونفوذه تصرفه فيما نزر، وإمكان فعله للمنزور . والأصل فيه قوله تعالي" وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نزر فان الله يعلمه" ٥ .

وقوله " يوفون النزر ويخافون يوما كان شره مستطيرا" ٦ .

وقوله " وليوفوا نزورهم" ٧ .

١- راجع "المغني" لابن قدامة ج٦ ص ١، ٥ / "شرح مسلم للنووي" ج ١١ ص ٧٤ .
٢- سورة النساء (١٢) .
٣- أخرجه مسلم/ كتاب الوصية/ ج١١ ص ٧٤ .
٤- أخرجه مسلم مطولا في الموضع السابق ج١١ ص ٧٦ إلى ٨٠ .
٥- سورة البقرة(٢٧٠) .
٦- سورة الإنسان (٧) .
٧- سورة الحج(٢٩) .

ومن السنة ما أخرجه أبو داود بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت:" قال رسول الله صلي الله عليه وسلم:" من نزر أن يطيع الله فليطعه، ومن نزر أن يعصي الله تعالي فلا يعصه" ١ .
والنزر أنواع منه بدني أو مالي ، والمقصود هنا النزر المالي،ومثال ما اقره النبي صلي الله عليه وسلم وما رواه أبو داود بسنده عن كعب بن مالك قال: قلت يا رسول الله أن من توبتي أن انخلع من مالي صدقة اله الله تعالي، والي رسوله ، قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: امسك عليك بعض مالك فهو خير لك، قال:قلت: أني امسك سهمي الذي بخير" ٢ .
واخرج مسلم بسنده عن ابن عباس انه قال: استفتي سعد بن عبادة رسول الله صلي الله عليه وسلم في نذر كان علي أمه، توفيت قبل أن تقضيه، قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : فاقضيه عنها ٣ .
هذا وقد اجمع المسلمون علي صحة النذر ، ووجوب الوفاء به ٤ ، إذا كان الملتزم طاعة والأظهر في نزر أم سعد انه كان نزرا في مالا و نزرا مبهما، وتقدم حديث سعد في الكلام عن صدقة التطوع.
يؤخذ من هذا النصوص أن ما يترتب علي النذر من بذل مال، إنما يقضي حاجة محتاج، فتكون صدقة عليه، لما فيه من شكر لله تعالي علي إسداء نعمة ، مع أن النزر لا يغير في قدر الله شيئا، فمن نزر طاعة مالية واخرجها للفقراء والمساكين فإنما قضي حاجة عرضت لهم، ودفع عن كاهلهم هم ما يحتاجون اليه. والله اعلم.
وبعد:
فهذه تسع مصادر للتكافل المعاشي لا تخرج عن كونها أمثلة لإثبات مدي عناية السنة المباركة بوحدة التكافل بين المسلمين في مواجهة متطلبات الحياة.
والحق أن مصادر التكافل المعاشي تربوا علي ذلك العدد بكثير منها كفارات الأيمان، وكفارات الاعتداء في الحرم، والهدية والعارية والسلم ، وضمانُ المسلم للمسلم ، وواجب الضيافة وكفالة الرجل لمن يعولهم ، والفيء والغنيمة، ومع إصلاح النفوس بما تتفق ألا أنها تصب في النهاية في يد المحتاجين كل هذا دعت إليه السنة الشريفة وبينت مقدار ما أودعه الله تعالي لاهل البر والسخاء والجود ، ولا حرج بعد هذا البيان النبوي الشريف أن تصبح النفوس متفتحة للبر ومقبلة علي الخير ، ومندفعة إلى ذرة الإيثار لا عجب في ذلك وهم يسمعون من النبي صلي الله عليه و سلم قوله تعالي:" الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون" ٥ .
فهل توجد دعوة للتكافل في الأرض بهذه الصورة المشرقة التي عبر عنها النبي صلي الله عليه

١- أخرجه أبو داود/ كتاب الأيمان والنذور/ باب ما جاء في النذر في المعصية/ ج٣ ص ٢٣٢ .
٢- أخرجه أبو داود / كتاب الأيمان النذور / باب فيمن نزر أن يتصدق بماله/ ج٣ ص ٢٤٠ .
٣- أخرجه مسلم/ كتاب النذور/ ج ١١ ص ٩٦ .
٤- راجع " شرح مسلم" للنووي ج١١ ص ٩٦، ٩٧ .
٥- سورة البقرة (٢٧٤) .

وسلم بإبلاغ تعبير، وبينها أوضح بيان، فأصبحت سنته المباركة ينبوعا للخير والبر لا ينضب ولا يغيض ، تزرع النفوس دوافع الخير، فتحصد أطيب الثمار من شجرة طيبة مباركة اصلها ثابت رعها في السماء ٠ والله اعلم ٠

* * *

خلاصة البحث ومقترحاته:

وبعد هذا التطواف – بجهد المقل- في ركن من أرجاء السنة المباركة يختص بجانب التعاون بين المسلمين ، وكفالة بعضهم بعضا ، وقد دلت نصوص السنة الشريفة اعظم دلالة علي المقصود نخلص إلى المقترحات الآتية :

أولا: ينبغي علي أهل العصر في الأمة الإسلامية الانتباه إلي حلول السنة الشريفة لقضايا العصر واعتقادها قدرتها علي وضع انسب القواعد لأي قضية مستحدثة علي قرر الاجتهاد فيها ، وانسب الحلول لأي مشكلة قد تتعرض سير الأمة إلي الرقي والتقدم٠ يؤد ذلك قوله تعالي: " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ١ ٠

وهذا القول الإلهي باتباع السنة الشريفة يرجع لقوله تعالي " وما ينطق عن الهوى أن هو إلا وحي يوحي " ٢ ٠

كما يرجع إلى محبة الله تعالي يبينها في قوله" قل أن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم " ٣ ٠

ومحبة الله عز وجل ومحبة رسوله صلي الله عليه وسلم تقتضي تقديم أمر الله تعالي وامر رسوله صلي الله عليه وسلم علي غيرهما كما قال صلي الله عليه وسلم " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الأيمان أن يكون الله ورسوله احب إليه مما سواهما ، وان يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وان يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار" ٤ ٠

فمن تمسك بكتاب الله تعالي وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم لن يضل أبدا ٠

ثانيا: تنشئة الأجيال علي الأخذ بالسنة قولا وعملا ، وتتبع آثار النبي صلي الله عليه وسلم في خصلة التكافل وكما يقول الشاعر :

والنقي كالطفل أن تهمله *** شب علي حب الرضاع وان تعظمه يتعظم ٠

فتدريب الطفل منذ الصغر علي الأخذ بالمنهج النبوي الشريف هو تقويم للمجتمع مستقبلا، وان يقوم علي ذلك رجال مخلصون لله تعالي ، غايتهم ومقصدهم ٠

١- سورة النساء (٦٥)٠
٢- سورة النجم(٣، ٤) ٠
٣- سورة آل عمران (٣١) ٠
٤- أخرجه البخاري في كتاب الأيمان/ باب حلاوة الأيمان/ ج ١ ص ٦٦/ ٨٨ "الفتح"٠

ثالثا: يا حبذا لو أن الأمة الإسلامية عادت إلى دفع الزكاة دون من ولا أذى ، وقيام مؤسسة خاصة بها ، والزم الأغنياء دفع أموال زكاتهم التي فرضها الله تعالي علي عباده ، وان يقوم علي هذه المؤسسة طائفة من رجال الدين العالمين بمقاديرها ، ومصارفها .

رابعا: ينبغي ترسيخ العلم بالسنة الشريفة في قلوب الشباب ، خاصة من يتلقون العلم في الجامعات المدنية، وإقناعهم بالحكمة والموعظة الحسنة أن السعادة الحقيقية في الالتزام بكتاب الله تعالي وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم ، والغاية من الوجود هو عبادة الله تعالي.

خامسا: إرشاد الشباب الذي يعاني من البطالة في المجتمع الإسلامي إلى منهج السنة الشريفة في العمل وانه لا مهانة في كسب الرزق الحلال من أي صنعة أو عمل شريف مهما كانت درجته، فالعزة والكرامة في العمل الشريف .

سادسا : التصدي للغزوات الثقافية التي يشنها الملحدون والعلمانيون ، وأعداء الإسلام ، ومناقشة آرائهم ودحض أباطيلهم بالحجة والبرهان، من كتاب الله تعالي وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم ، ومدلولاتهما .

سابعا: تعريف الناس بالسنة المباركة علي أنها وحي من عند الله تعالي ينبغي الحرص علي تطبيقها في العلاقات العامة والخاصة ، وعدم الاقتصار علي جانب الازكار الخالي من الانفعال النفسي والتطبيق العلمي لها في الواقع، والذي يستتبع بالضرورة سعادة الأفراد والأمة . والله اعلم .

وما توفيقي ألا بالله عليه توكلت واليه أنيب

والله من وراء القصد ، وصل اللهم علي سيدنا محمد وعلي اله وصحبه وسلم .

د/ عبد الله عبد العليم أبو العيون
الأستاذ المساعد بقسم الحديث وعلومه
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
جامعة الأزهر .

اهم المصادر والمراجع

١-القران الكريم

٢-الاسلام عقيدة وشريعة الأمام الأكبر محمود شلتوت ط١٢-دار الشرق ١٤٠٣-١٩٨٣

٣-اشتراكية الاسلام ٠د مصطفى السباعى ٠ط دار مطابع الشعب ١٣٨١-١٩٦٢

٤-الاقناع فى حل الفاظ ابى شجاع لشمس الدين الشربينى الخطيب ط الاخيرة . مطبعة مصطفي الحلبى واولاده-١٣٥٩-١٩٤٠

٥-بدائع الصنائع للكسانى ط مطبعة الامام بمصر

٦-البداية والنهاية . لابن كثير ط دار الفكر العربى

٧-بصائر ذوى التمييز . للفيروز بادى . ط . المجلس الاعلى لشئون الاسلامية ط الثانية ١٤٠٦-١٩٨٦

٨-تاريخ العلوم عند العرب . ا . د على عبد الله الدفاع ط . وزارة المعارف السعودية ١٤٠٣-١٩٨٣

٩-تفسير القران العظيم لابن كثير ط . مكتبة القدسى

١٠-جامع البيان العلم وفضله لابنعبد البر ط . دار الفتح طباعة-نشر-توزيع . مصر

١١-حاشية ابن عبدون ط . مصطفى اليأس الحلبي وأولاده مصر ١٣٨٦-١٩٦٦

١٢-دارسا تفى علوم الحديث . ا . د . العجمى الدمنهورى خليفة . ط وزارة الأوقاف .

١٣-دمروا الاسلام بيد اهله . اجلال العالم . ط . دار المعتصم

١٤-الرحيق المختوم . للشيخ صفي الدين المبارك فورى ط المكتبة الثقافية

١٥-روح الدين الاسلامى . ا . عفيف عبد الفتاح تباره . ط الخامسة والعشرين ١٩٨٥-ط دار العلم للملايين-بيروت-لبنان

١٦-سنن ابن داود . ط دار احياء التراث العربى

١٧-سنن الترمزى . ط المدني

١٨-سنن النسائي . ط دار الفكر-لبنان

١٩-سنن ابن ماجه . ط دار الفكر-بيروت

٢٠-سنن الدرامي . ط دار الفكر -لبنان

٢١-سنن الدار قطبى ط دار المحاسن للطباعة-القاهرة

٢٢-السيرة النبوية في ضوء القران والسنة .ا .د/محمد محمد ابو شهبه . دار الطباعة المحمدية-القاهرة ١٣٩٠-١٩٧٠

٢٣-شرح مسلم للنووي-ط دار احياء التراث العربي

٢٤-شرح الاحاديث المختارة . فضيلة الاستاذ عبد الحميد الشاذلي

٢٥-صحيح البخاري . ط: مصطفي اليابي الحلبي واولاده بمصر ط الاخيرة ١٣٧٨-١٩٥٩

٢٦-صحيح مسلم ط دار احياء التراث العربي

٢٧-صحيح ابن خذيمة ط المكتب الاسلامي بيروت

٢٨-الطبقات الكبرى لابن سعد دار صادر بيروت ١٤٠٥-١٩٨٥

٢٩-الطب النووي لابن القيم الجوزية مطبعة العلوم لبنان.

٣٠-فتح الباري لابن العسكراني اليابي الحلبي-بمصر ط .الاخيرة ١٣٧٨-١٩٥٩

٣١-الفقه على المذاهب الاربعة ز ط وزارة الاوقاف ط٦ ١٣٩٦-١٩٧٦

٣٢-قواعد التحديث لجمال الدين القاسمي-عيسى اليابي والحلبي وشركاه مصر

٣٣-كتاب التعريفات للجرجاني . ط. دار الكتاب العلمية-بيروت-لبنان

٣٤-لسان العرب :لابن منظور دار لسان العرب بيروت . تحقيق واعداد يوسف الخياط

٣٥-مجمع الزوائد ومنبع القواعد للهشيمي-مكتبة القدسي-القاهرة

٣٦-مختار الصحاح للرازي المطبعة الاميرية-القاهرة

٣٧-سيرة ابن هاشم ط المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ١٤١٣-١٩٩٣

٣٨-مسند الامام احمد ط بيروت

٣٩-مصابيح السنة الامام الغوي دار المعرفة بيروت لبنان ط الاولى ١٤٠٧-١٩٨٧

٤٠-المطا للامام مالك-وعليه تنوير الحوالك للوسطى ط دار الفكر

٤١-ميزان الاعتدال للذهبي ط دار المعرفة لبنان

٤٢ المغني لابن قدامة ط مكتبة الجمهورية العربية

الفهرس

مقدمة ---------- ص٢
المبحث الاول (مفهوم التكافل الاجتماعى)----------ص٤
- المفهوم الشرعى لمعنى للتكافل ----------ص٥
- انواع التكافل----------ص٦
- اضواء على انواع التكافل----------ص٩
المبحث الثانى (فى التكافل الادبى) ----------ص١٢
المبحث الثالث(التكافل فى صيانة الاخلاق عن الفساد)----------ص١٥
-الغزو الاخلاقى الخارجى ----------ص١٩
المبحث الرابع (التكافل العلمى)----------ص٢١
- الصحابة والتابعون يتكافلون فى نشر العلم ----------ص٢٩
المبحث الخامس (التكافل الدفاعى والجنائى)----------ص٣٢
- مظاهر التكافل الدفاعى----------ص٣٣
-مظاهر التكافل الجنائى ----------ص٣٦
المبحث السادس(التكافل المادى المعاشى) ----------ص٣٩
- مفهوم الاقتصاد فى الفكر المعاصر ----------ص٣٩
- مفهوم الاقتصادفى الشريعة الاسلامية ----------ص٤٠
-صور التكافل المعاشى فى الهدى النبوى ----------ص٤١
- بيان ان المال مال الله ----------ص٤١
-مكانة العمل وقيمة السنة الشريفة ----------ص٤٢
- التكافل المعاشى فى العهد النبوى (المكى والمدنى)----------ص٤٤
- اولا العهد النبوى ----------ص٤٤
- ثانيا العهد المكى----------ص٤٦
-دوافع الانصار للتكافل ----------ص٤٩
- النظام الاشعرى فى التكافل المعاشى ----------ص٥٠
المبحث السابع (مصادر التكافل الاجتماعى وموارده)----------ص٥١
- اولا الذكاة ----------ص٥١
- ثانيا صدقة الفطر ----------ص٥٤
- ثالثا الاضاحى ----------ص٥٥
- رابعا الاحباس ----------ص٥٦
- خامسا صدقة التطوع ----------ص ٥٨
- سادسا الهبة والعطية والنحلة ----------ص٦٠
- سابعا العمرة ----------ص٦١
- ثامنا الوصية ----------ص٦٢
خلاصة البحث ومقترحاته----------ص٦٤
اهم المصادر----------ص٦٥